ونحن أيضاً، سنصدعُ بالحقّ
ثبات الأحكام الشرعية وضوابط تغيُّر الفتوى

مجلة أنا المسلم

٢٤
مجلة إسلامية دورية جامعة
تصدر عن شبكة أنا المسلم www.muslm.net.vb
العدد ٢٤ - رمضان ١٤٣١هـ

الإصلاح بين الحقيقة والانتحال

خبراء في الفكر والفلسفة ولكن !

عدد خاص

خصائص عشر الأواخر من رمضان

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

أسرار الإفطار على تمر

رؤية الهلال بين الرؤية الشرعية والفلكية

الاعتكاف وحلاوة الخلوة

كلـــمة العـــدد

قال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

الحمد لله حمدا طيباً يليق بجلاله وعظمته وقدرته وعظيم سلطانه الحمد لله الذي أوجب الصـــــيام على عباده والصلاة والسلام على من سن القيام في رمضـــــان لأصحابه واتباعه.

نحمد الله أن بلغنا رمضان نســـــأله تعالى أن يتقبل منا ومنكم الصيام والقيام وسائر الأعمـــــال.

أما بعد:

الأخوة الأفاضل الكرام:

هذا العدد الرابع والعشرون من إصدار المجلة الذي يوافق صدوره شهر رمضان.

نســـــأل الله ان ينال على رضاكم واستحسانكم وان ينفع به الجميع.

حرصـــــنا في هـــذا العـــدد علـــى تنـــوع المواضيع ومناســـــبتها للوقائع والأحداث المعاصرة.

نشـــــكر جميع الأخوة الكرام أعضاء فريق عمل المجلة مساهمتهم الطيبة في عمل و إبراز المجلة بشكلها الرائع المعهود عليها وبناءاً على طلبهم لم نعلن عن أسمائهم.

نســـــأل الله أن يجازي إحسانهم بإحسان منه وغفران وان يتقبل منهم ويبارك فيهم و في جهودهم وأعمارهم و أوقاتهم.

كما نشكر جميع القائمين والعاملين على هذه الشبكة مواقفهم الطيبة ومساندتهم الجادة جزاهم الله خير وبارك الله فيهم.

نســـــأل الله الكريم أن يتقبل منا ومنكم الصـــــيام والقـــــيام وســـائر الأعمال وان يجعلنا وإياكم من عتقاء النيران.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحتويات

عدد خاص

الافتتاحية

أهلاً يا شـــــــــهر الخير ٤
عبد الناصر محمد منذر رسلان

الإشراقة + الحديث

إن المتقين في جنات وعيون ٦

❖ ❖ ❖

التربية وتغيير الذات في رمضان ٩
محمد محمود عبد الخالق

قضايا دعوية

الإصلاح بين الحقيقة والانتحال ١٣
محمد بن شاكر الشريف

خبراء في الفكر والفلسفة ولكن ! ١٦
خباب بن مروان الحمد

ونحن أيضاً، سنصدعُ بالحقِّ ٢٦
علوي بن عبد القادر السقاف

ثبات الأحكام الشرعية . . .
وضوابط تغير الفتوى ٢٩
محمد بن شاكر الشريف

قسم الأسرة والطفل

مجالس الأسرة المسلمة في رمضان ٤٠
صفية الودغيري

هدي الأبرار في مخاطبة الصغار ٤٣
سحر شعير

ثقـــــــافة الزوجة..
تجدد وارتقـــــــاء ٤٦
يوسف إسماعيل سليمان

أحكام فقهية

كنوز شـــهر رمضان فتاوى في الصيام ٤٩
جمع وإعداد محمد بن صالح المنجد

رمضان والصحة

أسرار الإفطار على تمر ٥٤
الدكتور حسان شمسي باشا

الفوائد النفسية في الصيام ٥٥
إسماعيل رفندي

دروس علمية

رؤية الهلال . . .
بين الرؤية الشرعية والفلكية ٥٦
محمد بن إسماعيل المقدم

العشر الأواخر

خصائص عشر الأواخر من رمضان ٦٠
د/ عبد العزيز الفوزان

الاعتكاف وحلاوة الخلوة ٦٣
د/ رياض المسيمري

الركن الأدبي

شهـــرٌ تلألأ بالْخيرَاتِ ٦٤
د/ عبد الرحمن بن شميلة الأهدل

المقال المترجم

A different Ramadan this year ٦٥
موقع وذكر

الصفحة الأخيرة

منْ يأْخذِ الْقَلَمَ بِحقهِ؟! ٧٥
عبدُ الرّحمنِ بنِ محمدٍ السيد

عبد الناصر محمد منذر رسلان

رمضان.. ذلك الشهر العظيم الذي ينتظره المسلمون بشغف ولهفة, وينتظره المؤمنون بشوقٍ ودمعة , دموع فرح باستقبال أغلى وأكرم الشهور على قلوبهم..

إنه شهر الخير والرحمة , شهر النقاء والعفة , شهر الطهر والصفاء..

فيه تصفو القلوب , وتسمو النفوس , وترقى الأرواح.

فهنيئاً لكم أيها المسلمون بقدوم شهر الخيرات , شهر المبرات, شهر المسرات, يباهي اللّه بكم ملائكته , وينظر إلى تنافسكم فيه..

مرحباً بك أيها الضيف الكريم والشهر العظيم , مرحباً بك يا شهر الإحسان,يا نبع الغفران , يا حبيب الرحمن..

ها هي مواسم العطر جاءت بشذاها تنشره بين الناس, مواسم لجني الحسنات , والتخفيف من السيئات , فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر..

يقول معلم الناس الخير ﷺ: (إذا كانت أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب , وغلّقت أبواب جهنم فلم يفتح منها باب , وصفّدت الشياطين , وينادي منادٍ : يا باغي الخير أقبل , ويا باغي الشر أقصر , وللّه عتقاء من النار وذلك كل ليلة (أخرجه البخاري ومسلم.

إخوتي في اللّه..

رمضان كان أمنية حبيبكم محمد ﷺ , حيث كان يقول:

(اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) وقد كان السلف رحمهم اللّه يدعون ربهم ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان الماضي , ويدعونه ستة أشهر أخرى أن يبلغهم رمضان الحالي , فأين نحن من الرعيل الأول رضوان اللّه عليهم.

مرحباً يا سيد الشهور..

يقول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه:

(أتاكم شهر رمضان , شهر بركة , يغشاكم اللّه فيه برحمته , ويحط الخطايا , ويستجيب الدعاء , ينظر إلى تنافسكم فيه , ويباهي بكم ملائكته , فأروا اللّه من أنفسكم خيراً , فإن الشقي من حرم رحمة اللّه) أخرجه الطبراني.

وفي الناس صنفان:

صنف يستقبل رمضان بالموائد والمطاعم والمشارب , يقضي معظم النهار نائماً , ويقطع معظم ليله هائماً.

والصنف الثاني يستقبل رمضان بالعودة إلى اللّه والتوبة والاستغفار وترك ما نهى اللّه عنه من العصيان لا سيما في شهر الرحمة والغفران والعتق من والحكمة من الصيام , الحكمة التي من أجلها شرع الصيام هي التقوى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة١٨٣]

ألسنة صائمة عنَ الفحش والسباب والرفث , وآذانَ صائمةَ عنَ سماعَ الفحش من القول , وأعين لا تنظر إلى حرام، قلوب مخبتة إلى اللّه ناظرة.

والخسران العظيم أن نخرج من رمضان ولم نزدد فيه حسنة , ولم نرقى فيه عند الله درجة ذلك وربي هو الخسران المبين.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب	حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما	فلا تصيرهُ أيضاً شهر عصيان

والفائز والرابح بإذن الله هو من صام امتثالاً لأمر الله ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى فتكون المكافأة كبيرة والعطية جزيلة.

أخرج ابن أبي الدنيا وغيره بسند حسن من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة , يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة , فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه , قال فيشفعان) فاجتهدوا أحبتي بتلاوة الذكر الحكيم آناء الليل وأطراف النهار فالقرآن إما شاهدٌ لك أو عليك.

فيجب علينا استقبال الخير والإحسان بالخير والإحسان , بهجر المنكرات , وترك الموبقات وعلينا بصلة الأرحام وبر الوالدين فإنها ترضي الرحمن وتدخل بها الجنان برفقة المصطفى العدنان.

إنه شهر الخير والعطاء والبر والنماء , إنه شهر الإحسان والجود والكرم والبذل في سبيل الله , فلا تنسوا أحبتي إخوانكم الفقراء والمساكين , والأرامل والأيتام المحتاجين, والله من الناس من تمر عليهم الليالي ولا يجدوا لقمة يفطروا عليها , أو شربة يمسك بها , وأنتم تنعمون بالخيرات والعطايا والهبات , فأروا الله من أنفسكم خيراً.

يقول خالد القسري: إن أكرم الناس بذلاً من أعطى من لا يرجوه وأعظم الناس عفواً من عفا عن قدرة , وأوصل الناس رحماً من وصل عن قطيعة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله , قالوا يا رسول الله: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه , قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر) أخرجه البخاري.

وكان الربيع بن خيثمة لا يعطي السائل كسرة خبز ولا شيئاً مكسوراً ولا ثوباً مرقعاً ويقول: أستحي أن تقرأ صحيفتي على الله وفيها الأشياء التافهة التي أعطيتها لأجله.

اعمل من خيرٍ وتصدق	كي تفتح أبواب الجنة
ما ينقص مالٌ مِن صدقة	قولٌ من أزهار السنة

وأخيراً نسأل الله عز وجل أن يكون نصيبنا من هذا الشهر الكريم نصيباً وافراً مباركاً وأن يرزقنا الباري عز وجل المغفرة والرحمة وجنة عرضها السموات والأرض , وأن لا يكون نصيبنا منه الجوع والعطش, وأن لا نكون ممن قال عنهم الرسول الأعظم ﷺ: فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم.

يقول وليد الأعظمي:

إن الصيام عبادة سرية		والسرُّ أوسعُ ما يكون مجالا
(الصوم لي وأنا أجزي به)		صدق الحديث وصحَّ عنه تعالى

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.وبعد:

قال تعالى :﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٥-٦١].

قوله تعالى :﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾:

المتقون :هم الذين فعلوا الطاعات واجتنبوا المعاصي والذنوب.

جنات :أي بساتين جامعة للأشجار، وسميت جنة؛ لأنها تجنّ من فيها: أي تستره لكثرة أشجارها وأغصانها.

العيون:هي الأنهار الأربعة: ماء، وخمر، ولبن، وعسل، وهذه الأنهار تجري من تحت القصور والأشجار، قال تعالى :﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد:٢٦]

قوله تعالى :﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ أي:

بسلامة من كل داء وآفة. وآمنين: أي من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج، ولا انقطاع شيء من النعيم الذي أنتم فيه أو نقصانه، كالموت، والنوم، والمرض، والحزن، والهم، وسائر المكدرات، كما قال تعالى :﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾[ق: ٣٤]، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال:

«ينادي منادٍ إن لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ٤٣]»؛ والأمن مطلب لجميع الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك قال تعالى عن أهل الجنة ﴿ آمِنِينَ ﴾؛ حتى تكتمل السعادة والفرحة.

قال أمية بن الصلت:

وحل المتقون بدار صدق	وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا	من الأفراح فيها والكمال

قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧].

الغلّ: هو الحقد والعداوة، فبيّنَ تعالى في هذه الآيةَ الكريمة أنه نزع ما في صدور أهل الجنة من الغل في حال كونهم إخواناً، وبين هذا المعنى وزاد أنهم تجري من تحتهم الأنهار في نعيم الجنة، وذلك في قوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال ابن كثير: وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقَصُّ لبعضهم من بعضٍ مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة».

ولما دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحب به وأدناه وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

والحكمة في نزع الغلّ؛ حتى تكتمل السعادة والفرحة، فإن الغلَّ يفسد القلوب ويضيق به الصدر، ولذلك شرح الله صدر نبينا محمد ﷺ، وأرسل الله له في صغره مَلَكين، ونزعا ما في صدره من الغلِّ والحقد وغسلا قلبه.

قوله: ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾:

السرر: جمع سرير مثل جديد وجُدد، وقيل: هو من السرور، فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور، قال ابن عباس: على سرر مكلّلة بالياقوت والزبرجد والدّر.

السرير ما بين صنعاء إلى الجابية وهي قرية بالشام، وما بين عدن إلى أيلة وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وقد وصف الله هذه السرر بأنها منسوجة بقضبان الذهب وهي (الموضونة)، فقال: ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ* مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الواقعة: ١٣، ٢٧].

وقيل: الموضونة المصفوفة، كقوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠].

وأيضاً هذه السرر مرفوعة، قال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾[الواقعة:٣٤]؛ وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[الرحمن:٧٦].

قوله تعالى :﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾:

أي :لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، وذلك دليل على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له، متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر.

قوله تعالى :﴿ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٥٩].

بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الجنة لا يمسهم فيها نصب وهو التعب والإعياء، و﴿ نَصَبٌ ﴾ :نكرة في سياق النفي فتعمُّ كل نَصَب، فدلت الآية على سلامة أهل الجنة من جميع أنواع التعب والمشقة، وأكد هذا المعنى سبحانه، فقال تعالى :﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر: ٣٥]؛ لأن اللغوب هو التعب والإعياء، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

قوله تعالى :﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾:

بيَّن تعالى أن أهل الجنة لا يخرجون منها، فهم دائمون في نعيمها أبداً بلا انقطاع، وأوضح سبحانه هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلا * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا ﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]، وقوله تعالى :﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص: ٥٤] إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى :﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحج:٤٩-٥٠].

هذه الآية موازية لقوله ﷺ؛ كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد».

فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء والرغبة والرهبة، ويكون الخوف في الصحة أغلب عليه منه في المرض، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها، فالقنوط من رحمة الله يأس، والرجاء مع التقصير إهمال، وخير الأمور أوساطها.

مَن فطَّر صائماً فلهُ مثل أجره

التربية
وتغيير الذات في رمضان

محمد محمود عبد الخالق

أقبل علينا شهر رمضان بما فيه من الخير والبركات والرحمات فهو فرصة لمن أراد النجاح في الدنيا والأخرة وغنيمة لمن أراد جمع الحسنات ليوم تكون فيه الحسرات على ضياع الأوقات، فيا سعادة من أحسن استغلال هذا الشهر ويا تعاسة من أساء استغلاله أو لم يخرج منه فائزا منتصرا ظافرا بمغفرة الله.

أحبتي في الله. إن من الواجب علينا في هذا الشهر هو أن لا يكون كأي شهر من الشهور بل يجب أن يكون شهرا خاصا نتخذه قنطرة للنجاح في سواه من الشهور ولهذا علينا أن نتربى في هذا الشهر وتبري أولادنا وأهلينا ونربي المجتمع من حولنا، فرمضان فرصة كبيرة لإصلاح الذات وتغيير النفس والتخلص من الكثير من العادات السيئة والمعاصي المكررة والتي كثرت بين الكثير من أبناء هذه الأمة.

أحبتي في الله... لا يستطيع الإنسان أن يذكر جميع فضائل هذا الشهر أو أن يحصرها، ولأن هذا الأمر تحدث فيه الكثيرون فإني أريد أن أتعرض لأمر آخر وهو التربية وبناء النفس في رمضان وألخص ذلك في عدة نقاط:

أولا: التربية على الإخلاص في العمل:-

أحبتي..قد يقول قائل ما هو الإخلاص الذي يأتي في الكتاب والسنة وفي استعمال السلف الصالح رحمهم الله..

فأقول: لقد تنوَّعت تعاريف العلماء للإخلاص، ولكنها تصبُّ في معين واحد.

ألا وهو أن يكون قصد الإنسان في سكناته وحركاته وعباداته الظاهرة والباطنة خالصة لوجه الله تعالى لا يريد بها شيئاً من حطام الدنيا أو ثناء الناس.

قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله. يعني الإمام أحمد بن حنبل. سألته عن النية في العمل، قلت: كيف النية، قال: يعالج نفسه إذا أراد عملاً لا يريد به الناس..أن يعالج نفسه فإذا أراد عملاً لا يريد به إلا وجه الله تبارك تعالى..

قال أحد العلماء: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه

في سره وعلانيته لله تعالى لا يمازجه نفسٌ ولا هوىً ولا دنيا.

عباد الله..

إنَّ شأن الإخلاص.. إنَّ شأن الإخلاص مع العبادات بل مع جميع الأعمال، حتى المباحة لعجيب جداً..

فبالإخلاص يعطي الله على القليل الكثير، وبالرياء وترك الإخلاص لا يعطي الله على الكثير شيئاً، ورُبَّ درهم سبق مئة ألف درهم..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والنوع الواحد من العمل... والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمن فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله به كبائر الذنوب، كما في حديث البطاقة..

وحديث البطاقة كما أخرجه الترمذي وحسنَّه النسائي وابن حبَّان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: (يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة.. يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجِّل منها مدَّ البصر، ثم يقال: أتنكر من هذا شيئاً !! أظلمك كتبتي الحافظون !! فيقول: لا يا ربي، فيُقال: أفَلك عذر أو حسنة فيها ؟! فيقول الرجل: لا يا ربي، فيُقال: بلى.إنَّ لك عندنا حسنة..إنَّ لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا ربّي ما هذه البطاقة !.. ما هذه البطاقة، وما تصنع مع هذه السجلات من الذنوب !، فيُقال: إنك لا تظلم اليوم. فتوضع السجلات في كفة و البطاقة في كفة، فتطيش السجلات وتثقل البطاقة) صححه الذهبي رحمه الله.

ثانيا: التربية على الحياء من الله:

المسلم عفيف حيي والحياء خلق له, والحياء من الأيمان والأيمان عقيدة المسلم وقوام حياته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « الأيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الأيمان » رواه البخاري ومسلم, وسر كون الحياء من الأيمان أن كلا منهما داع إلى الخير صارف عن الشر مُبعد عنه, فالأيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات وترك المعاصي, والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمنعم ومن التفريط في حق ذي الحق كما يمنع الحيي من فعل القبيح أو قواه اتقاء للزم والملامة, ومن هنا كان الحياء خيراً, ولا يأتي إلا بخير كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ في قوله « الحياء لا يأتي إلا بخير » رواه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين.

قال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

قال بعض البلغاء العلماء: يا عجباً ! كيف لا تستحي من كثرة ما لا تستحي, وتتقي من طول مالا تتقي ؟!

وقال صالح بن عبد القدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه

ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياءك فاحفظه عليك وإنما

يدل على فعل الكريم حياؤه

قال الجنيد رحمه الله: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء,

وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق.
ومن كلام بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحى منه,
وعمارة القلب: بالهيبة والحياء فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير.
قال الفضيل بن عياض: خمس علامات من الشقوة: القسوة في القلب, وجمود العين, وقلة الحياء, والرغبة في الدنيا, وطول الأمل.
وقال يحيى بن معاذ: من استحيا من الله مطيعا استحيا الله منه وهو مذنب.
وكان يحي بن معاذ يقول: سبحان من يذنب عبده ويستحي هو.
ومن الآثار الإلهية:-

❖ يقول الله عز وجل: [ابن آدم.. إنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك.. وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك.. ومحوت من أم الكتاب زلاتك.. وإلا ناقشتك الحساب يوم القيام]

❖ويقول الله عز وجل: [ما أنصفني عبدي.. يدعوني فأستحي أن أرده ويعصيني ولا يستحي مني].

ثالثا: التربية على الخشية من الله والبكاء من تلك الخشية:-

فالبكاء سنة عظيمة وعادة لصالحي المؤمنين قديمة، ورثها أصحاب الرسل عنهم، كما ورثها أصحاب نبينا عن رسولنا الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم.. وقد خطبهم يوما فقال: ((عُرضت عليَّ الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)) قال "أنس" : فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه! قال: غطوا رؤوسهم ولهم خَنِينٌ)) [رواه البخاري ومسلم].

فهذا الصديق الأكبر لما اشتد بالنبي ﷺ الوجع وأذن للصلاة قال: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" . فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف – رقيق القلب – لا يملك دمعه إذا قام يصلي لم يسمع الناس من شدة بكائه. فقال: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" . فأعادت. فقال: "إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس» .

وكان أبو بكر يقول: ابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا، تكلفوا ذلك فإن في ذلك النجاة لكم.

وهذا الذي قاله أبو بكر هو وصية النبي ﷺ لأمته كما روى ذلك ابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص بسند جيد: "اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» .

وليس معنى ذلك أن يظهر الإنسان البكاء رئاء الناس ليحسبوه خاشعًا وليس هو كذلك، وإنما المراد حث النفس وتعويدها على البكاء حتى يصير عادة وسجية لها، وكما جاء في الحديث: "إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم" . فكذلك إنما البكاء بالتباكي والتباكي يستجر البكاء، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: "عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله" [رواه الترمذي بسند حسن عن ابن عباس]. وقال: "لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع" [رواه الترمذي وأحمد بسند صحيح عن أبي هريرة].

وكما كان هذا حال أبي بكر كذلك كان حال عمر بن الخطاب الخليفة الراشد، فقد ورد عنه أنه كان يكثر من قراءة سورة يوسف في العشاء والفجر، وكان إذا قرأها يبكي حتى يسيل دمعه على ترقوته، وقرأها يومًا حتى بلغ قوله تعالى على لسان يعقوب:﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]. فبكى حتى سمع الناس نشيجه ونحيبه من خلف الصفوف.

وسمع يومًا آية فمرض أيامًا يعوده الناس لا يعرفون سبب مرضه.

وكان في وجه ابن عباس خطان أسودان من كثرة البكاء.

وخطب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الناس مرة بالبصرة: فذكر في خطبته النار، فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر! وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً.

وإليكم هذه الروابط:

رابعاً: التربية غلى محاسبة النفس:-

فمحاسبة النفس أمر ضروري يعود بالنفع على صاحبه في الدنيا والآخرة، وهكذا كان هدي السلف الأبرار، والسابقين الأخيار، فهذا الحسن البصري يقول: "إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته".

وقال ميمون بن مهران: "لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه"، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك.

وقال ميمون أيضا: "إن التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص، ومن شريك شحيح".

وذكر الإمام أحمد عن وهب قال: مكتوب في حكمة آل داود: "حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عونا على تلك الساعات، وإجماماً للقلوب".

وقال الحسن: المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. إن المؤمن يفاجئه الشيء ويعجبه، فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات هيهات، حيل بيني وبينك. ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه، فيقول: ما أردت إلى هذا ؟ ما لي ولهذا ؟ والله لا أعود إلى هذا أبدا، إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وفي بصره، وفي لسانه، وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله.

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبدا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا ؟ ألست صاحبة كذا ؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل، فكان لها قائدا.

وهكذا يجب أن نتعلم محاسبة النقس ونتربى على ذلك، وإذا كنا لا نتعلم ذلك في رمضان فمتى نعلم ؟.

❖ ❖ ❖

الإصلاح

بين الحقيقة و الانتحال

محمد بن شاكر الشريف

الإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه، والإصلاح عمل الأنبياء والساعين في الأرض بالخير والفلاح، قال الله تعالى عن شعيب وهو يدعو قومه إلى الله تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [هود:٨٨]»، وقال الرجل الإسرائيلي لموسى عليه السلام لما رآه قتل نفسا وخشي منه أن يقتله: "إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين "، وقد مدح الله تعالى في كتابه من يقوم بالإصلاح بين المؤمنين، وهو نوعان: الإصلاح العام الذي يتناول الأمر الشامل للمسلمين، والإصلاح الخاص الذي يكون بين شخص وآخر أو فئة وأخرى، قال الله تعالى ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا... الى قوله تعالى...فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا..﴾[الحجرات:٩] وقال الله تعالى: « ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء:١٢٨] وقال الرسول ﷺ وهو يذكر مناقب الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما: "إن ابني هذا سيد وسوف يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

والمصلح العام هو الذي يجدد ما اندرس من معالم الدين، ويسعى في إعادته كما كان غضا طريا، وقد عرف تاريخنا الإسلامي الكثير من المصلحين سواء كانوا يقومون بالإصلاح العام أو الإصلاح الخاص، فمن هؤلاء بل على رأسهم الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، ومنهم عمر بن عبد العزيز ومنهم الشافعي ومنهم ابن تيمية ومنهم محمد بن عبد الوهاب وومنهم ولي الله الدهلوي، وكثيرون غيرهم، وبالجملة فإن كل من يدخل في عداد المجددين فهو من المصلحين، ومنهجهم هو المنهج الإصلاحي، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح عليه أولها، كما قال إمام دار الهجرة النبوية مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

لكن هذا اللفظ تعرض في العقود المتأخرة لعملية تحريف معنوي، حيث حاول فريق من المنتسبين للعلم بعد غلبة الكفار على بلاد المسلمين، ووقوع تلك البلاد في قبضة الاستعمار، أن يوجدوا نوعا من التقارب بين ما شرعه الله تعالى وبين ما هو قادم من الغرب بحيث لا يكون هناك تصادم بين الاثنين، وذلك بذريعة الإصلاح أو التجديد، فكان سبيلهم في ذلك سبيل من ينظر إلى المنتج الفكري الغربي وكأنه القول الفصل المحكم، الذي ينبغي التعويل عليه، وتفهم في ضوئه المعارف الإسلامية، حتى يؤول منها ما لا يقبله ذلك الفكر البشري الغربي ليكون موافقا له ماشيا في ركابه، فموقفهم موقف المنهزم الذي كل همه الاعتذار والدفاع، لا موقف المتعالي المعتز بما عنده، ثم تطور الأمر بعد

ذلك حيث استلبه طائفة من العلمانيين المغالين الذين هم أبعد ما يكونون عن الإصلاح، وجعلوه حكرا عليهم وعلى من هو على شاكلتهم.

والإصلاحيون هنا فئتان:

١) إصلاحيون في المجال الديني: ويطلق على الذين يفسرون النصوص الشرعية لتكون الأحكام المستنبطة منها، وخاصة في التعامل مع الكفار توجد قدرا من الأرضية المشتركة، بزعم التسامح أو قبول الآخر واحترام عقائده، أو في التعامل مع المرأة بزعم تمكينها وإعطائها حقوقها، وهؤلاء يتعاملون مع النصوص الشرعية كما يتعاملون مع منتج فكري قابل للتطوير والتعديل.

٢) وإصلاحيون في المجال السياسي: ويطلق على المعارضين لأنظمة حكمهم، انطلاقا من الدفاع عن حقوق الإنسان ومؤسسات المجتمع المدني، ممن يقبل الأطروحات السياسية الغربية الديمقراطية، التي تعزل الدين عن التدخل والتأثير في الحياة، حيث تسير الأمور وفق منظور علماني.

وقد ساعد على رواج ذلك كثير من وسائل الإعلام السائرة في فلك المنظومة الثقافية الغربية، حتى صار لفظ الإصلاحيين في كثير من المناسبات لا يطلق إلا على الليبراليين أو العصرانيين، وكل من هو خارج عن الإطار العام لثوابت هذه الأمة، فإذا وجدوا من هو لين أو متسيب في قضايا الولاء والبراء قالوا: هذا إصلاحي، وإذا وجدوا من هو مغرم بحضارة الغرب يدعو إلى الرجوع إليها والتمسك بها قالوا: هذا إصلاحي، ومن وجدوه في القضايا المتعلقة بالأحكام الشرعية للمرأة يوافق أجندة الأمم المتحدة الخاصة بالمرأة قالوا: هذا إصلاحي.

إن لفظ الإصلاح ينبغي أن يعود لأصحابه الأصليين الذين هم أحق الناس به، وهم المستمسكون بكتاب ربهم وسنة نبيهم، والممسكون بالكتاب، فهم الإصلاحيون على الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] والإصلاح له دوائر متعددة، على رأسها الإصلاح الديني، ثم الإصلاح السياسي، والإصلاح التعليمي، وغير ذلك من دوائر الإصلاح المتعددة، ولا شك أن الإصلاح الديني هو المقدم على ما عداه إذ هو بمثابة القلب للجسد، إذا صلح صلحت دوائر الإصلاح كلها، وإذا فسد فسدت دوائر الإصلاح كلها، لأن الإصلاح الدنيوي-رغم أهميته لرفاهية الحياة-إذا كان مبتوت الصلة بالدين، فهو إصلاح مادي يتعامل مع جسد الإنسان، ولا يصل إلى روحه التي لا قيمة للجسد إلا بها.

لكن لا ينبغي أن نفترض حالة التعارض بين تفعيل دوائر الإصلاح المختلفة، بل من الممكن أن يسير الإصلاح في خطوط متوازية خاصة إن كان الممسكون بزمام الأمور في بلد المسلمين هم من يقومون به، أو كانت تقوم به جماعة كبيرة لها امتداد كبير في المجالات المتعددة، لكن إن كان يقوم بالإصلاح فرد أو مجموعة من الأفراد أو جماعة محدودة فالوجه في ذلك أن يفاضل بين دوائر الإصلاح فيقدم الأهم على المهم.

وأيا ما كان من دوائر الإصلاح يعطى الأولوية، فإن في داخل كل دائرة أولويات خاصة بها، وهذه الأولويات مسألة تابعة لظروف الزمان والمكان والإمكانيات والبيئة المحيطة، وليس هناك أولى من إصلاح العقائد إذا فسدت، وتعظيم قدر النصوص الشرعية عند المسلم والتعويل عليها في العقيدة والشريعة بلا استثناء، والرجوع إلى منهج السلف في التعامل معها، على أساس أنه المنهج الحقيق بالقبول والإتباع.

وفي الجانب الآخر عندما ننظر إلى الإخفاقات في الجانب الدولي وتراجع مكانة الدول الإسلامية في ذلك المجال حتى صارت مناطق نفوذ يتنازع الطغاة الكبار على الانفراد باحتلالها أو احتكارها، ولعل السبب الأبرز في ذلك هو تغييب الشعوب عن القيام بأي دور فعال في سياسة أمور بلدهم، حتى صاروا بمثابة الأجراء، ولعل الإصلاح الأكبر والأهم والذي يمكن أن يترتب عليه كل إصلاح تالي في هذا المجال، هو إحياء ولاية أهل الحل والعقد فقها وواقعا لتمارس دورها المنشود.

والمنهج الإصلاحي الحقيقي لا يهمل الأخذ بكل الوسائل والأساليب الشرعية التي يمكن من خلالها تحقيق الإصلاح، ولكن يجعل لكل وسيلة أو أسلوب مكانها أو الظرف المناسب لها، ولنا في منهج الرسول ﷺ في الإصلاح أسوة حسنة.

٢٤
مجلة أنا المسلم
عدد خاص بمناسبة شهر رمضان
مجلة أنا المسلم
٢٤
الإصلاح
بين الحقيقة والانتحال
عدد خاص
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

قراءة الكتب الفلسفية والفكرية...
هل هي ضرورة في هذا العصر؟!!

خبراء في الفكر والفلسفة.. ولكن!

خباب بن مروان الحمد

نجتمع أحياناً في بعض النوادي الثقافية واللقاءات الفكرية، أو من خلال اللقاءات على الشبكة العنكبوتيَّة، نتطارح مع بعض الشباب أحاديث فكرية، وطروحات معرفيَّة، وهموماً نهضوية وتنمويَّة، فأجد لدى الكثير من الشباب إقبالاً كبيراً على المطالعة والمباحثة ومحبَّة الحوار، حتَّى ويكأنَّ المرء يشعر أنَّ مثل هذه النقاشات صار كثير منها متكلفاً، فالمهم أن نتحدث ونتناقش ونتبادل الآراء، ثمَّ بعد ذلك نمضي في أعمالنا وهمومنا الحياتيَّة مع قلَّة تطبيق وحسن عمل، وهذه مشكلة، يمكن أن نطلق عليها بإشكالية الترف الفكري، والغثاء الثقافي الذي يعيشه بعض الشباب المثقف والطامح لأن يكون يوماً ما مفكراً أو مثقفاً.

وعلى أيَّة حال فإنَّني ألحظ ساعة مناقشاتي مع بعض الشباب العربي والمسلم، والمتحمس للقراءة في المجالات الثقافية والفكرية والفلسفيَّة أنَّهم يعدُّون كمَّاً هائلاً من كتب ومدونات الكثير من مفكري الشرق والغرب، ولا يُعجزهم أن يتحدَّثوا حول جماليات منطق أرسطو، وتعريفات سقراط، ونظريات أفلاطون، وعبارات فيثاغورس، وقوانين دور كايم، وحكم فولتير، ويحشد لك عدداً من الأسماء كسبينوزا، جون لوك، ايراسموس، جان جاك روسو، مونتسيكو، ديكارت، توماس هوبز، جون ستيوارت ميل، ديدرو، لبطليموس، ابكتيتوس، مارتن لوثر، غاندي، والقائمة تطول بأسمائهم، فلها في قلوبهم بهجة كبيرة، حتَّى بتُّ أشعر حالة نطقهم لأسماء أولئك القوم بأنَّهم يعيشون حالة من الزهو والخيلاء، التي تُشعرهم بأنَّهم قوم مثقفون قد نالوا قسطاً كبيراً من الثقافة والقراءة في أفكار الغير. هاتفني أحدهم قائلاً: أحب المطالعة في هذه الكتب الفكرية والفلسفيَّة، وكتب النظريات الغربية.

فقلت له: وما سر هذا التركيز وأنت شاب يافع؟

فأجاب: إنَّه لابدَّ لنا أن نتعلم نظريات الغرب لكي ننقدهم وننتبه من خطورتها، ويستدل بالحديث:(الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها كان أحق الناس بها)[١] وأنَّ الشاعر العربي أبو فراس الحمداني قال:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه!

وأنَّه رُوِيَ عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال «تُنقض عرى الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية»[٢].

إلى غير ذلك من الاستدلالات والرؤى التجميعيَّة بحشد النصوص بكليتها لمناصرة القناعة المدموغة في عقليَّته التنويريَّة!

فنصحته وقلت له: يمكنك أن تهتم الآن بمطالعة كتاب الله وأحاديث المصطفى ﷺ، وسيأتي اليوم الذي يمكنك أن تطالع فيه هذه الكتب بعد برهة من الزمن، للاستفادة ممَّا بها من جوانب تراها خيِّرة، ولنقدها فكرياً ومنهجياً، شرط أن تكون لديك حصانة ذاتية ومناعة فكرية. كان ذلك الأخ مقتنعاً بأنَّ لديه اطلاع جيد بالعلوم الشرعية بحجَّة ما قام بدراسته سابقا، وأنا شخصياً لم أجده بالفعل كما يقول، وحاولت محاورته وإقناعه بمرادي، وقلت له إنَّ كل نفس يعتورها ما يعتورك من ضرورة مطالعة الكتابات والأطروحات الفلسفية والفكرية المنشورة قديماً وحديثاً وما بين الفينة والأخرى، وقد تسَوِّغ النفس لأجل ذلك أسباباً متعددة.... لكن أحسب أنَّ لكل زمن رجال، ولكلِّ مرحلة أهلها، واستباق الأحداث والوقت غير المناسب لفعل شيء ما يضير أكثر ممَّا ينفع....

❖قناعات بديلة:

أعتقد أنَّ من الأهمية بمكان، الصيرورة إلى توجيه العقول إلى ما يمكن أن تنتفع به ويكون ركناً ركيناً، وأصلاً أصيلاً في عمليَّة التلقي، وهو التركيز على قضية أحسب أنَّها ذات أولوية في صياغة وتشكيل العقل العربي والمسلم وفي هذا الزمان خصوصاً...

تلك القناعة التربوية التي لازلت متشبِّثاً بها وصادحاً بها في مجامع الشباب المثقف، قائلاً:

وأين نصيب القرآن والسنَّة وكلام الصحابة والتابعين من مطالعاتكم؟ وهل حاولتم أن تجمعوا مثلا أقوال الصحابة في طرق النهضة بأمتنا؟ وتستخرجوها من مظانها من كتب الآثار والمسانيد وإسقاط ذلك على الواقع المعاصر؟

أو قمتم بجمع آثار التابعين في ضرورة التنمية الاجتماعية والحراك العملي الخدوم في المجتمع؟

وهل فتَّشتم في كتب سلفنا وآثارنا وتراثنا عن مظاهر التفكير الإبداعي وخدمة الأمَّة المسلمة فيه وخصوصاً من فئة الشباب؟

وهل طالعتم كتب التأريخ والسير والمغازي وجمعتم الأسباب الحقيقيَّة لالتهاء الشعوب بأمر دنياها وقيام قلَّة قليلة منها بمقاومة النتوءات الفكريَّة، والخروقات الثقافات، وماذا كان دور عموم الناس في مناصرة علمائهم ومفكريهم حينما يصدعون بالحق، وما أسباب وقوفهم من عدمه؟ إلى غير ذلك ممَّا يخدم أمَّتنا وواقعها الفكري المعيش، وخصوصاً حينما ندرك أنَّ (العمل الجوهري للمفكر هو صناعة المفاهيم)[٣]، وهي الطريقة الفعليَّة للاستنباط من تلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الكثير من المفاهيم التي تهمنا في مجتمعنا بشتَّى اهتماماته. وبالطبع كنت أجد الجواب مختلفاً بين ألسنة الشباب، ولكنّي وجدت إجماعاً واضحاً على التقصير بقراءة كتاب الله ومطالعة التفاسير لفهمه، وما في سنَّة رسوله ﷺ وما يمكن الاستعانة به من شروحات كتب الحديث لفهم معانيه. ووجدت بعضهم وكأنَّ الأمر لا يعنيه، فهو يفهم القرآن وقد قرأه سابقاً لمرة أو مرتين، وقرأ الأربعين النووية وشيئاً من رياض الصالحين، ولكنَّ الأهميَّة الكبرى لديه الآن في مطالعة الكتب الفلسفية وغيرها من المفاهيم التي تتحدث عن الديناميكية والحيوية والارستقراطية

والأتوقراطية والثيوقراطية والبيوقراطية والمادية الجدلية ونشأة الحضارة، وقراءة تاريخ الصناعة والعمران المدني إلى غير ذلك من اهتمام هو أكبر وأوثق من اهتمامهم بقراءة القرآن والسنَّة.

وهذا بالفعل شيء حاصل فالكثير من هؤلاء باتوا يهربون من مطالعة النصوص الشرعية من كتاب الله وسنَّة رسوله ويستشهدون بها، ويحاولون أن يأتوا بآراء فلسفيَّة وحجج كلامية، وأحسنهم حالاً من لا يأبه بذكر النصوص الشرعيَّة بل يهتم بالمقاصد وفقه المقاصد، ويحاول أن يقفز على هذه النصوص بما يراه هو أنَّه من مقاصد الشريعة، وعندئذٍ تذكرت قول الفاروق عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم»[٤].

إنَّ ما ذكرته من حالة مأساوية وقع فيها الكثير ممَّن يعدون أنفسهم فلاسفة وأهل رأي حصيف وفكر مكين، لكنَّ إدبارهم وإعراضهم عن الاهتمام بنصوص الوحيين تأملا وتدبراً وتفكراً وإسقاط هذه النصوص على الواقع، ومعالجة الواقع بالأدلة الشرعية بات شيئاً ضعيفاً، وصار الكثير منهم يستروح للحديث الإنشائي أو لذكر حِكَم وتجارب الفلاسفة، ومن لطائف ما حصل أثناء كتابتي لهذا المقال أن أرسلته لأحد أصدقائي المصريين المثقفين والمتميزين في المجالات الفكرية والفلسفيَّة، وحينما قرأ المقال وانتهى منه أرسل لي رسالة يقول فيها:(لكني أوافقك تمام الموافقة فيما ذهبت إليه، ووالله إني لأعاني من ذلك في الجمعية الفلسفية التي أحضر ندوتها كل شهر والتي يرأسها الدكتور حسن حنفي؛ حيث لا كلام إلا عن الغرب وأعلامهم، ومذاهبهم من الكلاسيكية حتى الحداثة وما بعد الحداثة... كلها أمور تقسي القلب إلى جانب أنها لا تقيم نهضة للأمة!)

❖فليكن الفكر منطلقاً من أساس متين:

قد يقول قائل: وهل يُراد من عموم الشباب العربي المسلم المثقف أن يكونوا علماء في الشريعة، فإنَّ هذا لا يتأتَّى ولا يمكن، ونحن بالفعل بحاجة لشباب مثقف ومفكر؟

وبالطبع، فإنَّ الأمَّة الإسلاميَّة ليست بحاجة للعلماء الفقهاء فحسب، بل هي كذلك بحاجة للشباب المثقف الواعي والمفكر بقضايا أمَّته والذي يندمج في واقعها الحيوي ويناقش مشاكلها بعمق وموضوعية وشفافية، لكن مع وجوب المواظبة على ورد يومي من قراءة كتاب الله وشيء من تفسيره مع التدبر بما فيها، ومطالعة شيء من أحاديث المصطفى ﷺ وقراءة سيرته العطرة، فالمنتسبون لأمَّة الإسلام يجب عليهم أن يكون لديهم التصاق تام بهذا الإرث (كتاباً وسنة) فهو عصمة لهم من الفتن، ووقاية لهم من مضلات الأهواء، خصوصاً حينما يحسن القارئ لهما التعامل معهما.

إنَّ الإشكالية الكبرى لدى هؤلاء أنَّهم يظنُّون أنَّ القرآن الكريم ما هو إلا حديث عن الغيبيات أو كما قال أحدهم عن الميتافيزيقيا فحسب، وأمَّا غير ذلك من الأجوبة التي تعنى بأمور تنظيم العبادة بين العبد وربه، وإعمار الكون بالإيمان والبنيان، والسير في الأرض، والأمر بالعدل وإنكار الظلم، وتزكية الأنفس، وتكوين الأسرة الصالحة، وإثبات كرامة الإنسان، والدعوة إلى

التعاون على البر، ليست في وارد ذهنهم إطلاقا، فلا يظنُّون القرآن إلا مجرد بكائيات فحسب!

لأجل ذلك يقول بعضهم: انظروا في الكتب الأخرى والأفكار الأخرى، فهي التي تُفَتِّقُ الذهن، وتوسع مدارك العقل، وكأنَّ القرآن أغفل الحديث عن الكثير من الجوانب التي تصلح الكون والإنسان والحياة، وقد أحسن الإمام ابن القيم حين تحدث عن أمثال هؤلاء فقال عن القرآن ومن لا يعتنون به: « أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلو فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم وتناول القرآن كتناوله لأولئك «[٥].

❖فكان للمهتم بالفكر أن يهتم بالذكر:

أعجب ويحقُّ لي العجبُ من شدَّة هوس بعض الشباب العربي المسلم بقراءة كتب المفكرين الغربيين وأقوال الفلاسفة اليونانيين، وهم في الحقيقة خلو من مشاهدة وتأمل ما في الكتاب الكريم من آيات وعظات وحكم ومعاني عميقة، وما في السنَّة النبوية المطهَّرة من جوامع الكلم، وسامق الحكم، ورائق العبارات، وبديع المقالات.

هذه مشكلة كبيرة نعيشها مع شباب اليوم المقبل على النوادي الفكرية والصالونات الثقافية ظانين أنَّ مصدر السعادة ومعين الرضا والسرور هو في مناقشة فكر أحد الكتاب أو الفلاسفة الغربيين، وتجد أنَّهم قد يتكلفون ببعض العبارات وحشد الجمل واللفظات وتكديس المصطلحات حينما يتحدثون لكي يقول عنهم القائل: إنَّهم فعلا فلاسفة وحكماء عباقرة ! حتَّى إنني أتذكر واحداً من هؤلاء قال لي يوماً: إنَّ لديه دفترا قريباً منه كان يكتب فيه بعض المصطلحات والعبارات الرنانة التي تستهوي عقله؛ لكي يستخدمها في بعض مقالاته فتجد في المقال حشداً مصطلحياً لربما لو سئل كاتبه ما معنى ما قصدته بالضبط لحار جواباً وأطرق رأساً ! وعلى كُلٍّ؛ فإنَّ من يظنُّ أنَّه في بداية مطالعاته سيهتم بعلوم فلسفيَّةٍ وقراءات في المنطق والفكر الغربي، ويغفل القرآن ويظنُّ نفسه أنَّه بالفعل يريد الجمع والدمج بين الإسلام عقيدة وشريعة وبين ما هو مسطور في كتب الفلاسفة ومزبور في تراثهم، فإنَّه سيكتشف بالفعل أنَّه لن يبلغ النتيجة التي قصدها وخصوصاً إن كان ذلك في بداية مطالعاته، بل يخشى عليه بالفعل من عقائد أولئك الفلاسفة والتي في أغلبها تجاهل لحكمة الرب، وتشكيك في كثير من الغيبيات، وإنكار علم الله الكامل، ونفي معاد الإنسان، فأي فكر فلسفي لرجل يريد أن يُنوِّر المسلمين بفلسفة أولئك الفلاسفة والمناطقة، وكأنَّ في القرآن والسنَّة نقصاً ليس موجوداً إلاَّ في كلامهم، وبعد هذا وذاك يريد ذلك الشخص أن يطلق عليه الناس أنَّه مفكر إسلامي، وهو لربما يكون إلى العلمنة والليبرالية أقرب منه إلى الإسلام، ولهؤلاء أقول وأذكرهم بما قاله المفكر الفرنسي المسلم فنساي مونتاي:(إنَّ مثل المفكر العربي الإسلامي المبعد عن تأثير القرآن كمثل رجل أفرغ من دمه!)[٦].

إنَّ المسلم يجب أن يكون على قناعة تامَّة بعظمة القرآن الكريم، وعظيم عِبَره وحكَمِهِ، وبالرجوع لكتاب المفكر والمؤرخ الإسلامي عماد الدين خليل بعنوان:(قالوا عن القرآن)، لكي يقرأ في هذا الكتاب أولئك الذين تعلَّقت قلوبهم بكلام

الفلاسفة ويرى أنَّ كثيراً منهم يشهد بعظمة كتاب الله عزَّ وجل، ومنهم من ساقه ذلك للإسلام، ومنهم من بقي على دينه الباطل، ولكنَّه شهد بما في هذا الكتاب الكريم من آيات ودلائل وإصلاح للواقع (والحق ما شهدت به الأعداء!)، وهو وإن كنَّا لسنا بحاجة لشهادة غير المسلمين على ما في كتاب رب العالمين، لكن لعلَّه يكون باعثاً لهم على عطف قلوبهم وأفئدتهم وأجسادهم للاعتناء بقراءة كتاب الله تعالى. نقول هذا لأنَّ هنالك الكثير ممَّن يستهويهم الفكر الفسلفي والقراءة في الكتب الفكرية الغربية،والاطلاع على فكر المدرسة الفرنكوفونية، والوله بالمصطلحات الفلسفيَّة، فهؤلاء في الغالب يبعدون النجعة كثيراً عن مطالعة كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنَّة رسول الله ﷺ.

وقد يقول بعض الناس إنَّ هذا اتَّهام في غير محلَّه وكيف نبتعد عن الآيات القرآنية؟ ونحن نقرأها ونتعبَّد الله بها؟

إلاَّ أنَّ الشاهد يوضح أنَّ كثيراً ممن انتسبوا للفكر والفلسفة، نجد لديهم لوثة غربيَّة وقراءات فلسفيَّة في كتب الغربيين، مع أنَّهم قد لا يعقلون كثيراً مما جاء فيها، وقد يلوكون بعض العبارات ظناً أنَّهم فقهوها، وهم في المقابل لا يحسنون فهم آيات القرآن الكريم، بل يدخل بعضهم في قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[البقرة:٧٨] أي لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها ويدرسونها.

فضلاً عن أن يكون قد دخل كثير منهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[الفرقان:٣٠] فهجروا قراءته وتدبره وسماعه وتلاوته والعمل به والتحاكم إليه والاستدلال به، وهم بالفعل لو كان لديهم نهم وشغف بمعرفة أقوى الكلمات ذات الدلالات العميقة فإنَّهم لن يجدوها إلاَّ في كتاب الله، ولكنَّ كتاب الله عزَّ وجل لن يعطي للإنسان أسراره ومعانيه إلاَّ إذا أعطى المرء من نفسه لكتاب الله الشيء الكبير، والوقت الكثير من التأمُّل والتدبر، فتنهمر عليه الكنوز القرآنيَّة، والبدائع العرفانيَّة، وينطق لسانه بالحكمة.

لقد ذكر المؤرخون لسيرة المفكر الشاعر الباكستاني المسلم محمد إقبال، أنَّه دخل على ولده ذات مرَّة وهو يقرأ القرآن فقال له إقبال ناصحاً: أي بني ! اقرأ القرآن وكأنَّه عليك أُنزِل.

وقد صدق رحمه الله، فإنَّ القرآن تنهمر أسراره وتنفلق وتظهر معانيه وتنطق، لمن قرأه وهو يستشعر بالفعل أنَّ هذه الآيات تخاطبه وتتحدَّث إليه، لكي يقوم بالفعل بأدائها حق أداء، والتفكر في معانيها الباهرة، التي تستعلي على أقول وقيم الشرق والغرب، وصدق الله ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[يونس:٢٩] إنَّها دعوة للمراجعة الجادة القلبيَّة لجميع المنتسبين للفكر والفلسفة، بأن يبحثوا في سويداء قلوبهم، وهل لديهم شدَّة تعلُّق بآيات القرآن وما صحَّ من أحاديث النبي ﷺ أم لا؟

إنَّني على قناعة بأنَّ من تابع كتب ومقالات ومحاضرات فلان أو علان وهو يتحدث بفلسفة ويلوك الكلام لوكاً، فإنَّه ستظهر معه نقولاته لآراء الفلاسفة والغربيين ويدع جانباً الاستناد والاستشهاد بالآيات والأحاديث لمقولاته،فالاهتمام لأي شيء يظهر من خلال تعامل الشخص معه.

قال ابن تيمية رحمه الله:(تجد مَن أَكْثَرَ من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه؛ تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها؛ لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم؛ لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير)[٧].

وهذه مشكلة أخرى نجدها عن بعض المنتسبين للفكر الإسلامي من دهاقنة الفكر ورموزه في هذا الزمان، فقد يتطرق بعض المهتمين بالفكر بذكر بعض الجوانب الأخلاقية والسياسية والإنسانية والاجتماعية وغيرها في مقالاته وكتاباته وكتبه، وقد يذكر عشرات الأقوال من المفكرين الغربيين واليونانيين وغيرهم، ونجد من الضآلة بمكان أن يتذكر آية أو حديثاً يذكره في ثنايا بحثه و كتبه ومقاله، ولولا أنني لا أريد التسمية لسميت عدداً من هؤلاء يتقنون فنون ذكر أقوال الكفرة والملحدين من المحسوبين على الفلسفة والمنطق الكلامي، وقلَّما يذكرون آيات من كتاب الله أو سنَّة رسول الله ﷺ؛ بدعوى أنّ الآية حمَّالة أوجه، وأنَّ الحديث قد يكون ضعيفاً!

فيا سبحان الله ! إن كانت الآيات حمَّالة أوجه والأحاديث قد تكون ضعيفة أو خبر آحاد (كما يزعم بعضهم) فلم الاستشهاد الكبير والغوص والتنقيب عن أقوال عدد من الكتاب والمفكرين اليونان، ورموز المدارس الكلامية والليبرالية الغربية، واستخراجها ومحاولة بعثها من جديد؟! أم أنَّ كلامهم ليس حمَّالاً لأوجه؟! وأقوالهم ليست إلاَّ من قبيل آحادهم وأفرادهم والتي قد يصيبون فيها ويخطئون!

ومن العجائب والغرائب كذلك أن نجدهم يقولون إنَّ ذكرنا لكلام هؤلاء الغربيين والفلاسفة اليونانيين وغيرهم، لكي يعرف الغربيون أنَّنا نعرف واقعهم، ونتحدث بلغة مفكِّريهم، وما علموا وللأسف الشديد أنَّ كثيراً منهم . ولا أقول الكل . قد يستخدم أقوال هؤلاء بما قد يستدل به على مفهوم فهمه يكون خاطئاً أو معارضاً لكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، ولأجل ذلك وجدنا الكثير من العبارات التي يقولها بعض الناس وما دروا خطورة قولها مع علمي أنَّ بعض من قالها من بعض الفضلاء ولكنَّهم يقولون كلاماً يحتاج لإعادة نظر حينما يتحدثون عن (ديموقراطية الإسلام، ليبراليَّة الإسلامية، اشتراكية الإسلام، الرومانسية الإسلامية) والإشكال الكبير أنَّ كثيراً من منطلقات هؤلاء بالفعل يرونها منطلقات إسلاميَّة ولكنَّهم ما علموا أنَّ هذه العبارات ما هي إلاَّ بعض مما تسلَّق على ذاكرتهم أثناء قراءتهم في أفكار الآخرين!

بل وجدنا واحداً ممن يعتبرون أنفسهم من تيار التنوير الإسلامي، يقول في مقال له بعنوان: (وثنيون هم عبدة النصوص) ويزري على الناس وبعض المهتمين بالمجالات الكتابية والذين يقولون ليتنا نرى في بعض مقالات بعض المفكِّرين نصوصاً قرآنية أو أحاديث نبويَّة مذكورة في مقالاتهم، وبدلاً من أن يشكرهم على نصيحتهم له، يعدُّهم كالوثنيين الذين يعبدون القبور ويشركون بالله، فيتهمهم ويصمهم بأنَّهم وثنيون لأنَّهم على حد زعمه:(عبدة نصوص)!!

وهذا أحدهم يتحدث بأسلوب ملتوٍ، يريد منه النيل ممَّن يستند لقراءة النصوص القرآنية، حيث يقول: (فالأمرُ هنا هو السير في الأرض , وليس السير في الكتاب , أي قراءة الواقع , وليس قراءة النصوص , والظن بأنَّ الاستغناء بالكتاب عن الواقع هو الذي قاد العالم الإسلامي إلى كارثة ثقافية مروعة)[٨].

قلت: هذا وليس من مقصدي في هذا المقال إيعاب القول وحشد جميع ما قرأته في هذا الصدد فلو أردت جمع ما قيل لوجدته أكثر من (حِملُ بعير وأنا به زعيم)، ولكنَّ هذا دليل ومثال على أنَّ من تربَّى في جو مفعم بالفكر والفلسفة والصحافة والإعلام و(احترام الرأي والرأي الآخر) فإنَّ هذا سينشأ معه ولو كان في يوم ما مفكراً كبيراً أو فطحلاً بطلاً من أبطال الفكر في هذا الزمان..

إنَّ المتعاملين مع القرآن أصناف ونحن نقصد بالتعامل الصحيح هو ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان في التقيد والانضباط بالأصول الكلية التي يرجع إليها لفهم آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم ﷺ، وإلاَّ فهنالك قوم يدَّعون أنَّهم (قرآنيون) مع أنهم في حقيقة أمرهم يخالفون القرآن الكريم فيما أمر به ونهى عنه، فما هم إلا (جهال متنطعون) لم يفهموا القرآن والسنة مع مجاهرتهم بضرورة الرجوع للقرآن، فهذا أمر لا يروج على العقلاء ولا يقصده الناصحون لأمتهم والأمناء على عقيدتها.

ولقد قال معاذ بن جبل: (يقرأ القرآن رجلان: فرجل له فيه هوى ونية يفليه فلي الرأس، يلتمس أن يجد فيه أمرًا يخرج به على الناس، أولئك شرار أمتهم، أولئك يعمي الله عليهم سبل الهدى. ورجل يقرؤه ليس فيه هوى ولا نية يفليه فلي الرأس فما تبين له منه عمل به، وما اشتبه عليه وكله إلى الله، ليتفقهن فيه فقهًا ما فقهه قوم قط، حتى لو أن أحدهم مكث عشرين سنة، فليبعثن الله له من يبين له الآية التي أشكلت عليه، أو يفهمه إياها من قبل نفسه)[٩].

الشاهد أنَّ معرفة المرء بطريقة التعامل مع نصوص الوحي كتاباً وسنَّة تقيه بإذن الله عزَّ وجل من الانحراف الفكري، والتخبط العقلي، ولتكون نصوص الوحي منطلقاً وركيزة متينة لمناقشة الوقائع والحوادث المعاصرة، واستنباط ما يفيد لمعالجتها من كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ وفق القواعد الشرعية والأصول الكبرى لفهم نصوص الوحيين.

وبعدها فللمرء أن يتطلع ما يشاء ويريد ويفقه الواقع المعاصر، ويتأمل في حقائق هذا العالَم وما فيه من أفكار وقيم وتصورات.

إنَّ اهتمام المتفكر بالذكر سبيل بإذن الله تعالى لأن ينال الفكر الصحيح والحكمة الحقيقية والحصافة في النظر، وفي هذا يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله: (إنَّ أهل العلم لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر والفكر على الذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة)[١٠] ولكن أن يحسن التعامل مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفق قواعد ذكرها أهل العلم في طريقة التعامل مع كتاب الله وسنَّة رسول الله، وسيجد حتماً ما يغذي فكره ويحرك عضلات عقله من معين الحكمة الربانية وصفاء الكلمة النبوية.

لقد أورد الإمام الشوكاني في تفسيره لمطلع سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ .... الآية﴾[المائدة:١]قصة الفيلسوف العربي الشهير إسحاق بن يوسف الكندي وأصحابه نقلاً عن

أبي بكر النقاش رحمه الله أحد المفسرين في القرن الخامس الهجري، حيث قال: إن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر، ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث، وحلل تحليلاً عاماً، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلاَّ في أجلاد)!

والمقصود مِمَّا ذكرته أنَّ عبارات القرآن الكريم، وكذلك ألفاظ الحديث النبوي فيها من دلائل الإعجاز وعلائم الإيضاح والحكم، ما يمكن أن نجابه به كلام فلاسفة الشرق الغرب، فالقرآن الكريم يقول تعالى عنه: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩] وهو كذلك نور: ﴿... قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ[١٥] يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:١٥-١٦] والقرآن على حد وصف الشاطبي رحمه الله:(كلية الشريعة،وعمدة الملَّة،وينبوع الحكمة،وآية الرسالة، فلا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره)[١١].

بل هو المعجز في آياته: (وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد)[١٢] كما قاله الإمام ابن عطية.

فحق لأنصار القرآن والسنَّة أن يصيحوا بين عموم ومعشر المثقفين والقراء وخصوصاً من الشباب المتقدم للقراءة، بأن يبدؤوا القراءة بكتاب الله، فهي وصية الله تعالى لمحمد ﷺ التي علَّمه إياها جبريل قائلا له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[إقرأ:١-٥].

فمن أراد أن يقرأ فليقرأ القرآن أولاً، وليقرأ باسم ربِّه ثانيا، وليقرأ سنَّة وسيرة رسوله ثالثاً، وليتمكَّن من فهم الوحيين كتاباً وسنَّة على الأقل إلى حد معقول، مع دوام الملازمة لهما إلى الممات: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ* إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ* لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ*﴾[التكوير:٢٦-٢٨]، فمن شاء الاستقامة الدينية والعقائدية فلا غنى له عن القرآن، ومن شاء الاستقامة السلوكية فعليه بالقرآن، ومن شاء أن يستقيم فكرياً فعليه بالقرآن، ومن لم يقنعه القرآن فلا استقام ولا أقام وما تفكر بل طبع على قلبه الران.

والقرآن لأهل الفكر مرجع لا غنى عنه ففي القرآن الكريم أكثر من (١٣٠٠) آية كونية، وفي كتاب الله أكثر من (٧٠٠) آية تدعو للتفكر والتعقل والتدبر، فليس من جميع العلوم الإنسانية مثيل بعلوم القرآن وهو كلام الرحمن الذي:(يعطيك معانٍ غير محدودة في كلمات محدودة)[١٣]، كما يقول الأديب الرافعي رحمه الله، لكنَّ الإشكال الكبير أنَّنا بتنا نقرأ القرآن (للتبرك لا للتحرك) كما كان يقول الشيخ الراحل محمد الغزالي رحمه الله، وهو بهذا يشرح الحالة النفسية التي يتعامل بها كثير من المسلمين اليوم مع كتاب الله تعالى، فيهتمون به في حالة القراءة على الأموات! فصار الكتاب الذي جاء ليحيي الأحياء يقرأه الأحياء على الأموات ويكتفون بذلك! وهذه حالة عامة في كثير من بيوت العرب والمسلمين ويدخل فيهم الكثير من المنتسبين للفكر والثقافة والفلسفة!

❖بل تشمئز قلوب بعضهم من حفظة القرآن والسنة:

حينما يعلم بعض المحسوبين على الفلسفة والمنطق أنَّك قارئ للقرآن فإنَّه يراك شيخاً

درويشاً وأمَّا إن قرأ قصَّة الحضارة لول ديورانت، أو قرأ كتابات فلان أو علان من المفكرين الكبار أو عمالقة الفلسفة الغربيَّة، سينظرون إلى ذلك الرجل أنَّه بالفعل شخص موسوعي، ولديه عمق معرفي وطول نظر، وخذ من هذه الأوصاف فهو الرجل المثقف والحصيف والذي ضرب من العلوم ضرباً واسعاً وقطع بها شوطاً كبيراً، فشابه بعضهم قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[لقمان:٧] وقوله تعالى:﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[الزمر:٤٥] وقوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ* يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الجاثية٧-٨] نقول هذا في زمن أدبر الناس فيه بل كثير منهم عن مطالعة آيات القرآن وأحاديث الرسول الكريم ﷺ وملازمة حلق الذكر، وتذكر الله تعلى من خلال مطالعة القرآن الكريم، والتفكر في هذا الكون الصامت والناطق بأنَّ له إلهاً حقاً هو الله تعالى تبارك وتعالى وتقدس من كلام الكفرة والفجرة.

ولهذا نجد ضلال كثير من ضل بسبب الإدبار والإعراض عن قراءة كتاب الله تعالى، وقد نبَّه الإمام ابن تيمية رحمه الله على ذلك فقال: (وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب، كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله ورسوله أبعد، كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلِّم صحَّة الحديث ! وربما قال لقوله عليه السلام: كذا... وتكون آية من كتاب الله، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر)[١٤].

ومع هذا كلِّه فإنَّا نجد لدى الكثير من المغرمين إلى حد الثمالة بقراءة كتب الفلاسفة والفلسفة، وليتهم يقرؤونها لتقييمها، وإنَّما يقرؤونها ثمَّ يكون مآلهم الأخذ ممَّا بها من أفكار، مع أنَّ هؤلاء الفلاسفة غربيين أو شرقيين ليس في كلامهم ما يفيد إيماناً بالله إلاَّ شيئاً نادراً، وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: (فإن القوم-أي الفلاسفة- لا يعرفون الله, بل هم أبعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير, لكن لهم معرفة جيدة بالأمور الطبيعية, وهذا بحر علمهم وله تفرغوا, وفيه ضيعوا زمانهم, وأما معرفة الله تعالى فحظهم منها مبخوس جداً, وأما ملائكته وأنبياؤه وكتبه ورسله والمعاد فلا يعرفون ذلك ألبتة)[١٥].

❖وأخيـــرا:

إنَّه لم يخطر ببالي كما أرجو ألاَّ يخطر ببال أحد أنَّ ما قلته دعوة مطلقة لعدم الاهتمام بتراث الآخرين، وأفكارهم وقيمهم، ولكنَّ هذه الكتب والآراء لها رجالاتها المتخصِّصون، والذين يسبرون أغوار الكلام، ويعقلون مقاصد الآخرين، أو على الأقل لمن نال قسطاً كبيراً من مطالعة كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وبشهادة أهل العلم الثقات له بذلك، أما أن يأتي لقراءة هذه الكتب كل من هبَّ ودبَّ ومشى ودرج، فإنَّ هذا أمر لا يستقيم بحال. نعم ! على من أراد أن يكون يوماً ما صاحب فكر وتنظير، أن يدرك حتميَّة التلازم بين ضرورة الشرعي والاهتمام بطريقة فهم النصوص ومقاصدها من خلال القواعد المقرَّرة في ذلك، وبين فهم العالَم المحيط وسبر أغواره، والسير في آفاقه، والتأمل في كينونته، والتفكر في

مخلوقات الرب تبارك وتعالى.

ونحن بالفعل بحاجة ماسَّة لمن يستخدم عقله في الفكر الصحيح، وأن يكون على مستوى المسؤولية في مناقشة أفكار الآخرين من المستغربين والمتفرنجين، فضلاً عن دعاوى المفكرين الغربيين أو اليونانيين المتأثرين بالفلسفة اليونانيَّة ومنطق الإغريق!

ولكن ليس بالإقبال الكبير على الفلسفة والفكر الغربي والتغريبي وضعف مطالعة كتاب الله والسنن والآثار، والتي تؤدي بالشخص في نهاية أمره إلى الشك والضعف في مناقشة أقوال الفلاسفة بل الوقوع في مخالفة السنَّة، لأجل ذلك يقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي:(ما جهل الناس واختلفوا إلاَّ لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطليس)[١٦]

ونحن بحاجة للفكرة التي تغرس لدينا المفاهيم، وتصنع لنا القيم، وتستنبط لنا من النصوص روافد فكريَّة منضبطة، فإنَّ (الفكرة قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكّر جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلاّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب)[١٧] هكذا يقول الراغب الأصبهاني.

ولَكَم شاهدنا في الحقيقة تأثير الكتابات الفكريَّة المعمَّقة والتي تأثَّر بها كثير من شباب الإسلام، وكان لها تأثير كبير على المفكرين المسلمين وغير المسلمين، لكنَّنا بحاجة ماسة إلى الشخصيات التي جمعت شيئاً كبيراً من العلم الشرعي وأوعبت منه مع حسن الفهم والهضم للمعلومات، وتنمية وتربية الملكات، ومن ثمَّ القيام بدراسات تأصيليَّة في مجال الفكر والفلسفة، مع ضرورة وضع خطَّة منهجيَّة علميَّة في التأصيل الفكري كما هو حاصل في التأصيل الشرعي، لكي يتوجَّه بعض الشباب المريد لمثل هذه التخصُّصات من خلال نصيحة خبراء أصحاب منهج وتربية وتوجيه، مع عناية ورعاية، لكي يختصروا عليهم الطريق، ولا يتخبطوا خبط عشواء وحتَّى لا يميلوا مع أخطاء بعض الفلاسفة والمفكرين، بل تكون بنيتهم الفكريَّة ذات أصل وعمق.

وختاماً: فليس لدي مقصد من هذا المقال إلاَّ التنبيه على ضرورة العودة إلى كتاب الله وما صحَّ من سنَّة رسول الله ﷺ ووجوبها، للنهل منهما والارتواء من معينهما، ففيهما الشفاء لكل داء، وفيهما الصلاح لكل فساد، وبهما الحق لدحر كل باطل، وفيهما خطاب العقل، ومنظومة المفاهيم والقيم، فمن تربَّى عليهما وعلى مائدتهما ونال منهما قسطاً ونصيباً، فإنَّه ستنهمر على عقله منهما أفكار رائعة، ومعاني خلاَّقة. وبالله المستعان.

---

[١]) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٧) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه [فيه] إبراهيم بن الفضل المدني يضعف في الحديث من قبل حفظه، وقال العقيلي : منكر، كما في تهذيب التهذيب :(١٥١/١)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي بقوله: حديث ضعيف جدا.

[٢]) انظر منهاج السنة النبوية (٢ / ٣٩٨) و(٤ / ٥٩٠) وكذلك مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٠١ (١٥ / ٥٤) وقد وردت في مصنف ابن أبي شيبة وطبقات ابن سعد بغير هذا اللفظ.

[٣]) كيف نفهم الأشياء من حولنا؟ كتاب الدكتور عبد الكريم بكَّار ص٧.

[٤]) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية : (٥٥/١).

[٥]) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية: (٣٤٣/١)

[٦]) رجال ونساء أسلموا (٤٥/٥)

[٧]) اقتضاء الصراط المستقيم (٥٤٢/١)

[٨]) جريدة الرياض عدد ١٠١٨٨ في ١٤١٦/١٢/٢٨هـ .

[٩]) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٩٤/١٧)

[١٠]) مفتاح دار السعادة لاين القيم (١٨٣/١).

[١١]) الموافقات للشاطبي : (٣/ ٢٢٤).

[١٢]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٥٧/١-٥٨).

[١٣]) وحي القلم للرافعي.

[١٤]) مجموع الفتاوى (٩٦/٤)

[١٥]) مجموع الفتاوى (٣٣٠/١٧)

[١٦]) فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب ، ص٩٩

[١٧]) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٨٣، ٦٤٣.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه.

أمَّا بعد:

فقد عاشت هذه البلاد منذ عقودٍ خَلَتْ على منهج أصيل، أسَّسَه علماؤها وغيرُهم من العلماء الوافدين إليها من أنحاء العالم، وترسَّخ هذا المنهج، وضُبطت أصولُه وقواعدُه على منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والاستدلال، ونشأت الأجيال وتربت الأمة عليه، وارتضاه الناس، حيث جمع شملهم، ووحَّد كلمتهم من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، ووجد له أنصاراً ومحبين في شرق العالم وغربه، حيث وافق الفطرة، ودعا للإسلام النقي من شوب المحدثات. وترسَّخ خلال هذه الفترة في نفوس الناس ضرورةُ التقيُّد بالدليل الصحيح وعدم التعصب لمذهب معين رغم وجود الدراسة الفقهية الحنبلية والاسترشاد بها في القضاء وغيره. وظهر بعد الجيل الأول من العلماء جيل آخر أخذ منهم، وسلك مسلكهم، فكانوا خيرَ خلفٍ لخير سلف، أعانوا مشايخهم على رفع الجهل عن الأمة بالعلم والتعليم والدعوة والإصلاح، ومع تحري منهجهم للدليل، وقيامهم بالدعوة على أسس منهج السلف في العقيدة، ودعوتهم الناس إلى نبذ العصبيات إلا أن ذلك لا يعني قبول جميع الأطراف لدعوتهم بل كانت هناك أعداد قليلة غير راضية عن هذا المسلك متهمةً إياه بالتشدد تارة، وبالجمود تارة أخرى، لكن لم يكن لهم تأثيرٌ يُذكر، حيث صدَّقت أفعالُ العلماء أقوالَهم، وظهر للقاصي والداني نُصحهم، وصحة منهجهم.

* * *

وخلال تلك الفترة جَدَّتْ أحداث، ونزلت بالأمة نوازل، اختلفت فيها الآراء والاجتهادات في مسائل معدودة، لكن لم يُنْقَضْ فيها أصلٌ، ولم يُشَنَّع فيها على عالم، واجتمعت كلمة الجميع ولم

تختلف إلا ما ندر. وحفظ الصغارُ قَدْرَ الكبار، واستفادوا من علمهم وتجاربهم، واستفاد الكبارُ في المقابل من اطلاع الصغار وتخصصهم، ورغم حدوثِ متغيراتٍ عالميةٍ وعربيةٍ ومحليةٍ في تلك الفترة، ووفودِ أفكارٍ ومعتقداتٍ إلحاديةٍ كالشيوعيةِ والقوميةِ والبعثيةِ والحداثيةِ، وانفتاحِ المجتمع على المجتمعات الغربية وتطورِ وسائلِ الإعلام، إلا أنَّ المجتمع كان متمسكاً بدينه، وملتفًّا حول علمائه، وكان لعلمائه هيبةٌ ووقارٌ لدى الكبير والصغير، دون تقديس أو ادعاء عصمة، وخلال هذه الفترة حُرِّرت مسائل، وأُلفت كتبٌ، وأُعدت رسائل جامعية في شتى العلوم: العقدية، والأصولية، والفقهية، حتى أصبحت هذه البلاد وعلماؤها وطلاب العلم والدعاة فيها محط الأنظار، وقدوة للأمصار، في سلامة المنهج، وقوة التمسك بالدليل. واستمر هذا الحال ثلاثة عقود أو أكثر، وكانت اللحمة الدينية والسياسية على وفاق واتساق، مما أفرح الصديق وأغاظ العدو، وهذا كله لا يعني عدم وجود أخطاء، وتجاوزات، واختلافات، ومفارقات، لكنها لم تكن لتشق الصف وتفرِّق الأمة، ولم يكن يتطلب الأمر أن يُسعى لتقويض ما تسميه بعض الجهات المشبوهة ومقلِّدوها بالمؤسسة الدينية.

ثم حدثت في السنوات الأخيرة أحداثٌ عالميةٌ ومحليةٌ لا تخفى على أحد، ووقعت على إثرها ضغوطٌ عالمية ظهرت آثارها وتسارعت بشكلٍ كبير لكثرةِ قنواتِ الاتصالِ وسرعتها، غيَّرت من قناعاتِ وتوجهاتِ عددٍ من الخطباء والدعاة وطلاب العلم، بل وبعضٍ ممن يحسبون على العلماء!.

كان هؤلاء في بدء الأمر يعرضون ما عندهم بمداورة والتواء ولحنٍ في القول، وبصوت منخفض، وعلى استحياء، وفي مجالس خاصة، ثم تطور الأمرُ فأصبح بعضهم يُصرِّح بما عنده ولكن في مجالس خاصة أيضاً. وكان عددٌ من الدعاة وطلاب العلم يبلغهم ذلك، فتارة ينفونه عنهم حُسْنَ ظنٍّ بإخوانهم، وتارة يتوقفون، وأخرى ينصحون. ثم تطور الأمرُ أكثر، فأصبح بعضُ أولئك يصرِّح في حواراتٍ صحفية، أو فتاوى فضائية، أو مقالاتٍ (إلكترونية)، كل ذلك كان يحصل والعلماء وطلاب العلم كانوا يغلِّبون حسن الظن بهم، ويؤمِّلون أوبتهم، ويطمعون في عودتهم. ورغم قلَّتهم -كما يعبرون هم عن أنفسهم- إلا أن تأثيرهم قد زاد، وما ذاك إلا لأن وسائل الإعلام قد فتحت لهم أبوابَها وقنواتِها، ولأن ما يطرحونه مما تستهويه الأنفس. ونسوا قول الله عزَّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾[الرعد:١٧] فَطفق العلماء وطلاب العلم يتهامسون فيما بينهم:

أما آن الأوان أن نصدع بالحق ونبين أخطاءهم حتى لا يغتر بهم العامة؟

وكانت طائفة من أهل الثبات على المنهج تدعو إلى الرويَّة حفاظاً على وحدة الصف ولمِّ الشمل، لكن القوم استفحل أمرُهم، وتجاوز الخلاف معهم المسائل الفقهية المبنية على التيسير غير المنضبط بضوابط الشرع: كالقول بجواز الأخذ من اللحية بلا قيد، وجواز إسبال الثياب، وعدم وجوب الصلاة جماعة في المسجد، وجواز سماع بعض آلات المعازف كالطبل وغيره -وهي مسائل وإن قيل بها إلا أنها مرجوحة-، وكالقول بجواز الاحتفال بأعياد الميلاد والأوطان، بل وبمولد النبي ﷺ، وقضايا متعلقة بالمرأة كالحجاب والنقاب والعباءة واختلاط الرجال بالنساء... إلخ. تجاوز الأمرُ ذلك كلَّه إلى قضايا عقدية ومنهجية: كمسائل في نواقض الإيمان، والولاء والبراء، والتسامح مع المبتدع، وجعل الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة والجماعة، والدعوة إلى فتح الذرائع، وغير ذلك مما يناقض أصول

أهل السنة والجماعة في العقيدة والاستدلال، كلُّ ذلك ضمن إطار ما يزعمونه من تجديد الخطاب الديني، وركوب موجة الإصلاح والتغيير بحجة استغلالهما قبل أن يستغلهما المُفسدون، وكأن الإصلاح والتغيير لا يكونان إلا بمسايرة الواقع، ومخالفة الشرع، والانفلات من التدين، وهذا عين ما يزعمه دعاة التحرير.

بل تطور الأمرُ عند بعضهم، فطالت كتاباتهم، وبلغت سهامهم الدعوة السلفية، ودعوة الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب وأتباعه، وأثاروا الشكوك حولها، وتجرأ بعضهم على كبار علماء هذه البلاد ولمزوهم.

وظلَّ السؤال يعيدُ نفسه: هل آن الأوان لنصدع بالحق ونبين خطأ إخواننا هؤلاء أم نظل ساكتين حتى تغرق السفينة، وتنهدم الصروح الشامخة التي بُنيت عبر عقود؟

والذي يراه الآن كثيرٌ من العلماء وطلاب العلم والدعاة أنه قد آن الأوان -إن لم يكن قد فات-، وأن عليهم أن يتداركوا الأمر ويفنِّدوا شبهاتِ هؤلاء الإخوة علناً كما نشروها علناً، وأن يصدعوا بالحق كما صدعوا هم بما يظنونه حقاً، فحديثهم عن كبار العلماء والمؤسسة الدينية وتأثيرها إنما ينصب على مدرسة الإمامين ابن باز وابن عثيمين -رحمهما الله- ومن سار على طريقتهما من العلماء وطلاب العلم والدعاة، وقد كانت طريقة هدى ورشاد، من غير ادعاء العصمة لهم من الخطأ.

لذلك وجب الصدع بالحق في وجه هذا التيار نصيحة لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وبياناً للدليل، ولمأخذه عند أهل النظر من أهل الرسوخ من العلماء وطلاب العلم، وحفاظاً على مكتسبات الأمة خلال هذه العقود، لكن ينبغي أن يكون ذلك برفق وعدلٍ وعلم دون تعصُّب لأحد، وألا يشغلنا الردُّ عليهم عن الرَّدِّ على أهل الباطل الصرف من المبتدعة والعلمانيين والليبراليين كما شُغِلوا هم -وللأسف- عن ذلك.

فيا علماء المسلمين، ويا طلاب العلم ابروا أقلامكم، وجهزوا صحائفكم، فإن كلمة الحق لا بد لها من سامع، وإن مقاومة الأخطاء المتكررة بالعلم، والبيان، وإقامة الحجة، عهدٌ عهده الله إليكم، فإن لم يكن الآن وقت ذلك فبالله عليكم متى يكون؟! قال الإمام أحمد: إذا سكتُّ أنا، وسكتَّ أنت، فمتى يتبيَّن الحق.

أسال الله عزَّ وجلَّ أن يثبتنا على دينه وسنة نبيه، وأن يردَّ إخواننا هؤلاء إلى الحق ردًّا جميلاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

القسم العام

الدفـــاع عن عقيدة أهل السنة

مـنـتـدى الدراسات العقدية و الشرعية

مـنـتـدى مجالس الإيـمـان و الدعوة

مـنـتـدى شـهـر رمـضـان الـمـبـارك

المـنـتـدى الـعـــام

الأقسام الفرعية: المهارات و الدراسات الإدارية و الاستراتيجية
و تطوير الذات, منتدى خاص بمسائل مطروحة للبحث و النقاش

مـنـتـدى الأسـرة و الـطـفـل

مـنـتـدى الأخبـــار

مـنـتـدى الـصـوتـيـات و الـمـرئـيـات الإسـلامـيـة

الاســتـــراحـــة الـمـفـتـوحـــة

الأقسام الفرعية:

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

القسم التقني

الكمبيوتر والبرامج والبرمجة

منتدى الجـوال الاسـلامـي

منتدى التصميم و الجرافكس و الستايلات

ثبات الأحكام الشرعية وضوابط تغيُّر الفتوى

محمد بن شاكر الشريف

أنزل الله شريعته التي جاءت في كتابه القويم القرآن الكريم وسنة رسوله الأمين ﷺ لتكون هادية للناس الصراط المستقيم، ولتكون حاكمة على أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم إلى يوم الدين.

وقد ختم الله تعالى كتبه بالقرآن المجيد، وختم رسله بمحمد ﷺ الرسول الأمين.

ومن ضرورة ذلك أن تكون الأحكام الشرعية التي تضمنتها تلك الشريعة الخاتمة شاملة وثابتة لا يشوبها نقص أو قصور، ولا يعتريها تبديل أو تغيير.

وهذه قضية بدهية عليها أدلة كثيرة من النصوص الشرعية، وليس من قبيل المبالغة إذا قلت إن هذه المسألة عليها عشرات الأدلة من الكتاب والسنة.

❖ بين الحكم الشرعي والفتوى:

وقبل المضي قدماً في الموضوع يحسن التعريف بالحكم الشرعي وبالفتوى.

فالحكم الشرعي: « عبارة عن حكم الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين »[١].

والفتوى والفتيا: « ذكر الحكم المسؤول عنه للسائل »[٢]؛ أي « جواب المفتي »[٣].

و « الإفتاء: بيان حكم الواقع المسؤول عنه »[٤]، فالإفتاء هو عمل المفتي، والفتوى هو ما يصدر عن المفتي.

والغالب أن الحكم الشرعي هو الحكم المتعلق بأفعال العباد على وجه العموم من غير التفات إلى واقع معين يرتبط به الحكم، كالقول بوجوب الصلاة وحرمة شرب الخمر وهكذا.

والغالب أن الفتوى هي ما كانت مرتبطة بواقع ما، فالفتوى على ذلك هي تطبيق الحكم الشرعي على الواقع، وإن كان في بعض الأحيان يأتي أحدهما بمعنى الآخر فهما مرتبطان، ولا تكون الفتوى صحيحة إلا إذا كان الحكم الشرعي منطبقاً على الواقع انطباقاً صحيحاً، يقول ابن القيم - رحمه الله - في بيان علاقة الفتوى بالحكم الشرعي: « ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم.

١-التعريفات ، للجرجاني ، ٣٣/١ .
٢-أنيس الفقهاء ، للقونوي ، ٣٠٩/١ .
٣-التعاريف ، للمناوي ، ٥٥/١ .
٤-التعاريف ، ٧٩/١ .

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر » [٥].

وعندما استُفتي ابن تيمية - رحمه الله - في قتال التتار بيَّن ذلك الارتباط وأفتى بقوله: « نعم يجب قتال هؤلاء، بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق أئمة المسلمين، وهذا مبني على أصلين: أحدهما المعرفة بحالهم، والثاني: معرفة حكم الله في مثلهم » [٦].

ومن البيّن هنا أن الفتوى قد تدخل فيها أو ترتبط بها عدة عوامل، وبالتالي فإن الفتوى تكون مرتبة عليها، وقد يحدث أن يُستفتى المفتي في واقعة قد اجتمعت لها كل عواملها، فيفتي بالحكم الشرعي الذي ينطبق عليها، ثم تأتي واقعة أخرى مشابهة لها في الظاهر، لكن بينهما فرق مؤثر في الحقيقة نتيجة غياب بعض تلك العوامل أو وجود عوامل أخرى؛ فيفتي المفتي بحكم شرعي مناسب للحالة الجديدة، وهو بطبيعة الحال مغاير للفتوى الأولى، ومن هذا الوجه ونحوه على ما يأتي تفصيله في هذا المقال - إن شاء الله - قال من قال من أهل العلم بـ « تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد » [٧].

فأخذت هذه الكلمة وأضرابها طائفة من المعاصرين وطاروا بها في كل حدب وصوب، وصاحوا بها في كل واد وناد، يرومون تغيير الشريعة وأحكامها إرضاءً وتجاوباً مع الأهواء مما لا يحبه الله ورسوله، بل صارت عمدة من عمد الذين يريدون تحريف الدين تحت ما يزعمونه من ضرورة « تجديد الخطاب الديني »، وفي هذا المقال نتعرض لمسألتين:

الأولى: أدلة ثبات الأحكام الشرعية.

الثانية: الضوابط التي من خلالها يمكن أن تتغير الفتوى.

أولاً: أدلة ثبات الأحكام الشرعية:

والمراد بالثبات هنا بقاء الحكم الشرعي على ما هو عليه ودوامه وعدم تغيره لا بزمان ولا بمكان ولا بغير ذلك.

والأدلة على ذلك كثيرة كما قدمنا، فمنها:

١ - قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[المائدة: ٣]، فالدين قد كمل، والنعمة تمت، والتغيير فيما قد كمل نقص، وما لم يكن يومئذ ديناً فلن يكون بعدُ ديناً، والقول بجواز تغيير الحكم الشرعي يلزم عنه عدم التصديق بأن الله أكمل الدين، وهو في الوقت نفسه رفض لنعمة الله التي أتمها علينا.

٢ - قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾[الأنعام: ١١٥]، قال ابن كثير - رحمه الله -: « أي صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي » [٨]، والحكم الشرعي هو في باب الأمر والنهي، وحيث تغير العدل كان الظلم.

٥-إعلام الموقعين، ١/٨٧

٦-مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٨/٥١١ .

٧-إعلام الموقعين، ٣/٣ .

٨-تفسير ابن كثير، ٢/١٩

٣ - قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[المائدة: ٤٩].

ففي هذه الآية ثلاثة أمور:

١ - الأمر بالحكم بما أنزل الله (الشريعة).

٢ - بيان أن ترك الحكم بها إنما هو اتباع للأهواء.

٣ - بيان أن من الفتنة ترك بعض الشريعة.

وهذا الأمر للنبي ﷺ، وأمته من بعده، فكلهم مخاطب به، ولا شك أن القول بجواز تغيير الحكم الشرعي مؤد للحكم بغير ما أنزل الله، ومؤد لترك بعض الشريعة، وهذا اتباع للهوى ووقوع في الفتنة، ولا يسلم المرء من ذلك إلا بالقول بثبات الحكم الشرعي وعدم تغييره.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾[الإسراء: ٧٣]، وهو يبين أن تغيير الحكم الشرعي إنما هو من الافتراء على الله عز وجل، والافتراء على الله لا يجوز عند أحد من المسلمين، فظهر من ذلك أن تغيير الحكم الشرعي أو القول بجواز ذلك محرم لا يجوز القول به ولا الإقدام عليه، وهذه الآية تدل على مدى حرص الكفار ورغبتهم في تغيير الحكم الشرعي، حتى إنهم ليتخذون من يفعل ذلك أو يقوم به « خليلاً »، والخُلة أعلى درجات المحبة، قال ابن جرير - رحمه الله -: « والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه ﷺ أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله »[٩].

٥ - قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤]. وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة: ٤٥]. وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾[المائدة: ٤٧].

فبيَّن الله تعالى أن من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، ومن قال بجواز تغيير الحكم الشرعي، فهو إما حاكم بغير ما أنزل الله وإما مجوز لذلك.

٦ - قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣].

فمن لم يتبع صراط الله المستقيم (الكتاب والسنة) اتبع سبل الشيطان، ولا يمكن للمرء أن يتبع الكتاب والسنة مع القول بعدم ثبات الحكم الشرعي وجواز تغييره.

٧ - قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف:٣]، فأمر الله الناس أن تتبع ما أنزل إليها من ربها خالقها ورازقها، وبيَّن أن من اتبع غير ذلك فقد اتبع أولياء من دونه، والقول بجواز تغيير الحكم الشرعي مؤد لإتباع الأولياء من دون الله. ثم تهدد الله وتوعد من يتبع الأولياء من دونه، فقال عقيب الآية المتقدمة: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[الأعراف: ٤].

٨ - قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، فأمر رسوله ﷺ باتباع الشريعة التي أوحاها إليه، وبيَّن أن ترك شيء من هذه الشريعة إنما هو اتباع لأهواء الذين لا يعلمون، ولا يمكن اتباع الشريعة كاملة مع القول بعدم ثبات الأحكام الشرعية أو بعضها وجواز تغييرها، ثم بيَّن الله تعالى أن هؤلاء الداعين إلى ترك اتباع الشريعة

٩-تفسير ابن جرير، ١٥/ ١٣٠ .

بتغيير الحكم الشرعي ظالمون، وأنهم لن يغنوا عن أحد شيئاً أو يدفعوا عنه شيئاً من عذاب الله، فقال تعالى عقيب الآية المتقدمة: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[الجاثية: ١٩].

٩ - قال تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[البقرة: ٢١١]، فقد توعد الله سبحانه وتعالى بالعقاب الشديد من يبدل نعمته التي أنعمها على العباد، والأحكام الشرعية التي باتباعها استقامة العباد وصلاح الدنيا، والنجاة من النار والفوز بالجنة من أجل النعم التي أنعم الله بها، والقول بعدم ثبات الحكم الشرعي وجواز تغييره هو من تبديل نعمة الله.

١٠ - قال الله تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[يونس: ١٥].

وفي هذا من الدلالة على رغبة الكفار في أن يقع المسلمون في تغيير الأحكام الشرعية أو تبديل الوحي المنزل، وقد بينت الآيات أنه ليس لأحد ولو كان رسول الله ﷺ أن يغير الحكم الشرعي من تلقاء نفسه، بل عليه أن يتبع الأحكام الشرعية التي يوحيها الله إليه؛ لأن من فعل ذلك فقد عرض نفسه للعذاب العظيم، قال القرطبي - رحمه الله -: « إني أخشى من الله إن خالفت أمره وغيرت أحكام كتابه وبدلت وحيه فعصيته بذلك عذاب يوم عظيم هوله »[١٠].

والآيات في ذلك أكثر من أن تحصر، ولو ذهبنا نتتبعها لطال بنا المقام.

وقد دلت السنة على ما دل عليه القرآن في ذلك، فمن السنة:

١ - قوله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[١١]، أي مردود عليه، والقول بتغيير الحكم الشرعي إحداث في الدين لم يأت به كتاب ولا سنة، ولا أثر عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهو مردود على صاحبه.

٢ - قوله ﷺ: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة »[١٢].

فبيَّن الرسول ﷺ أن النجاة في اتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين الذين اتبعوه وساروا على سنته، وأمر أن يُعض على ذلك بالنواجذ تمسكاً بها، وعدم الحيد عنها قيد أنملة، وحذر من محدثات الأمور، وبيَّن أن المحدثات في الدين ضلالة، والقول بجواز تغيير الحكم الشرعي يخالف كل ذلك، فهو يخالف التمسك بالسنة ويوقع في المحدثات.

٣ - قوله ﷺ: « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي »[١٣].

فمن تمسك بالكتاب والسنة لم يضل أبداً، والمفهوم من ذلك أن من لم يتمسك يضل، والقول بجواز تغيير الحكم الشرعي مؤد لعدم التمسك بالكتاب والسنة أو ببعضها الذي تغير، والأدلة على ذلك من السنة كثيرة أيضاً.

١٠-تفسير القرطبي، ٣١٩/٨.

١١-أخرجه البخاري، كتاب الصلح، رقم ٢٤٩٩، و مسلم، كتاب الأقضية، رقم ٣٢٤٢.

١٢-أخرجه ابن حبان، (١٧٩/١)، و الحاكم في المستدرك، (١٧٤/١)، وقال: صحيح ليس له علة، و الترمذي، (٤٤/٥)، قال: هذا حديث حسن صحيح.

١٣-أخرجه الحاكم في المستدرك، (١٧٢/١).

وبالنظر إلى أصول الفقه نجد أن علماء أصول الفقه يعرّفون الحكم الشرعي بأنه « خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد أمراً أو نهياً أو تخييراً أو وضعاً »[١٤].

وخطاب الشارع هو الكتاب والسنة، والقول بأنه يمكن تغيير الحكم الشرعي مكافئ للقول بإمكانية تغيير خطاب الشارع، وخطاب الشارع لا يملك أحد من البشر أن يغيره، وبالتالي فمن غير المستطاع القول بجواز تغيير الحكم الشرعي، ومن وجهة نظر ثانية فإن القول بتغيير الحكم الشرعي بتغير الزمان هو نسخ للحكم الشرعي، هذا هو معنى النسخ عند الأصوليين، فالنسخ يراد به عندهم « رفع الحكم الشرعي بخطاب»أو«رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر » ونحو ذلك[١٥]، فمضمون النسخ على ذلك هو تغيير الحكم الشرعي الثابت وإلغاء الحكم الشرعي القائم واستحداث حكم جديد، لكن النسخ لا يكون إلا من الله تعالى أو من رسوله ﷺ، وهو ما يعني أن النسخ قد انقطع بموت رسول الله ﷺ، فعلى ذلك الأحكام الشرعية ثبتت على ما مات عليه رسول الله ﷺ، وقد بيَّن الرسول ﷺ أنه يدعو يوم القيامة على من بدل شيئاً من الدين بعده فقال ﷺ: «ألا ليُذادنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلُّم ! فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك. فأقول: سُحقاً سُحقاً »[١٦]، وفي رواية:«سحقاً حقاً لمن بدل بعدي»، والقائل بجواز تغيير الحكم الشرعي لا شك أنه داخل في هذا الحديث، نسأل الله السلامة.

وقد بيّن ابن تيمية – رحمه الله – أن من يجوّز النسخ بعد موت رسول الله ﷺ فهو « يُجوِّز تبديل المسلمين دينهم بعد نبيهم، كما تقول النصارى أن المسيح سوغ لعلمائهم أن يحرموا ما رأوا تحريمه مصلحة، ويحلوا ما رأوا تحليله مصلحة، وليس هذا دين المسلمين »[١٧].

وبالجملة فإن الأدلة على بطلان القول بتغيير الأحكام بتغير الزمان كثيرة جداً، وفيما قدمت من الأدلة كفاية إن شاء الله.

قال الشاطبي – رحمه الله – في بيان ثبات الأحكام الشرعية وعدم تغييرها:

« فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخاً، ولا تخصيصاً لعمومها، ولا تقييداً لإطلاقها، ولا رفعاً لحكم من أحكامها، لا بحسب عموم المكلفين، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان ولا حال دون حال، بل ما أثبت سبباً فهو سبب أبداً لا يرتفع، وما كان شرطاً فهو أبداً شرط، وما كان واجباً فهو واجب أبداً أو مندوباً فمندوب، وهكذا جميع الأحكام فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فرض بقاء التكليف إلى غير نهاية لكانت أحكامها كذلك »[١٨]

إن القول بثبات الحكم الشرعي وعدم إمكانية تغييره من قبل أحد كائناً من كان إضافة إلى أنه الحكم الذي دلت عليه الأدلة كما تقدم؛ يمثل ضمانة من أهم ضمانات استقرار أحوال الأمة، واستتباب الأمن فيها، ومنع الاستبداد، ولقد أدرك أصحاب القوانين الوضعية أهمية الثبات وأثره في أمن المجتمع واستقراره فقالوا بثبات الدساتير، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا لأنها من صنع البشر.

وإذ تقدم هذا فإنه من غير المقبول أن نجد من بين المعاصرين من يقسم الأحكام الشرعية إلى قسمين: أحدهما ثابت، والآخر متغير، ويعرف المتغير بأنه « موارد الاجتهاد وكل ما لم يقم

١٤-انظر في تعريف الحكم الشرعي : البحر المحيط ، للزركشي ، (١/١١٧ ، ١٣٢).

١٥-انظر في تعريف النسخ : الإحكام في أصول الأحكام ،(٣/١١٦)، والبحر المحيط ، (٤/٦٤ ، ٦٨) ، وإرشاد الفحول ، ص ٢٧٦ .

١٦-أخرجه مسلم في صحيحه ، ١/٢١٨

١٧-مجموع الفتاوى ، ٣٣/٩٤ .

١٨-الموافقات ، للشاطبي ، ١/٧٨ ، ٧٩ .

عليه دليل قاطع من نص صحيح أو إجماع صريح »[19]، فهذا قول غير صحيح لأنه مخالف للدليل، ولم ينقله قائله عن أحد من أهل العلم المعروفين السابقين على امتداد أجيال الأمة التي بلغت أربعة عشر قرناً وربعاً من الزمان وعلى اتساع مذاهبها الفقهية وتنوعها[20].

❖ مفاسد القول بتغيير الحكم الشرعي بتغير الزمان:

ويترتب على القول بجواز تغيير الحكم الشرعي بتغير الزمان مفاسد كثيرة من أبرزها:

١ - اتخاذ الأولياء من دون الله، وهم المشرعون الذين يشرعون الحكم الجديد.

٢ - القول بقصور الشريعة وعدم صلاحية أحكامها لعموم الزمان والمكان.

٣ - تغيير وتبديل الدين بمرور الزمن.

٤ - عدم استقرار أحوال الأمة، وزوال الأمن، وشيوع الظلم والاستبداد.

❖ الشبهة في القول بتغيير الحكم الشرعي بتغير الزمان:

القائلون بتغيير الأحكام الشرعية بتغير الزمان لا يتعلقون في ذلك بنص سواء كان من القرآن أو من السنة، فليس عندهم أدلة على ذلك، فكل ما عندهم في ذلك كلمات لبعض أهل العلم من مثل «تغير الفتوى بتغير الزمان» ونحوها، وهم طوائف: طائفة اشتبه عليها ذلك ولم تدرس الأمر دراسة واعية وظنت هذا أمراً مشروعاً. وطائفة مناوئة للدين وجدت في هذه الشبهة بغيتها في نفث سمومها والسعي في إطفاء نور الله الذي لا يطفأ، فأخذت تنشر هذا وتضخمه وتؤكد عليه، وأصبح مثل هذا الكلام أداة كبيرة في أيدي الدعاة إلى تحريف الدين باسم تجديد الخطاب الديني. وطائفة مهزومة أمام الفكر الغربي المعاصر، وجدت في ذلك القول مخرجاً ووسيلة للتوفيق بين ذلك الفكر وبين أحكام الشريعة. ونحن بعون الله نبيّن الصواب في ذلك من خلال الحديث عن ضوابط تغير الفتوى.

❖ ثانياً: ضوابط تغير الفتوى:

١ - اختلاف العوائد والأعراف:

من الأمور التي تتغير بسببها الفتوى تغير العوائد والأعراف التي تُبنى عليها الفتوى، سئل الإمام القرافي - رحمه الله - عن الأحكام المدونة في الكتب المرتبة على العوائد والأعراف التي كانت موجودة زمن جزم العلماء بهذه الأحكام، هل إذا تغيرت العوائد وصارت لا تدل على ما كانت تدل عليه أولاً، هل يُفتي بما تدل عليه العوائد والأعراف الجديدة، أو يفتي بما هو مدون في الكتب ؟ فأجاب - رحمه الله - بقوله: « إن إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع تغير تلك العوائد، خلاف الإجماع وجهالة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة »، ثم شرع يفصل فقال: « ألا ترى أنهم لما جعلوا أن المعاملات إذا أطلق فيها الثمن يحمل على غالب النقود، فإذا كانت العادة نقداً معيناً حملنا الإطلاق عليه، فإذا انتقلت العادة إلى غيره عيَّنا ما انتقلت العادة إليه، وألغينا الأول لانتقال العادة عنه »، إلى أن يقول: « بل ولا يشترط تغيير العادة، بل لو خرجنا

١٩-الثوابت والمتغيرات ، د / صلاح الصاوي ، ص ٤٠ .

٢٠-استشهد الدكتور صلاح الصاوي لكلامه ذلك بالدكتور يوسف القرضاوي ، والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، وهما مع ذلك ليس لهما سلف في هذا التقسيم ، وهو يعني أن د / صلاح لم يجد أحداً من المتقدمين يستشهد بكلامه على ما ذهب إليه .

نحن من تلك البلد إلى بلد آخر عوائدهم على خلاف عادة البلد الذي كنا فيه، وكذلك إذا قدم علينا أحد من بلد عادته مضادة للبلد الذي نحن فيه؛ لم نفته إلا بعادته دون عادة بلدنا، ومن هذا الباب ما روي عن مالك: إذا تنازع الزوجان في قبض الصداق بعد الدخول؛ أن القول قول الزوج مع أن الأصل عدم القبض، قال القاضي إسماعيل: هذه كانت عادتهم بالمدينة أن الرجل لا يدخل بامرأته حتى تقبض جميع صداقها، واليوم عاداتهم على خلاف ذلك، فالقول قول المرأة مع يمينها لأجل اختلاف العوائد، وينبغي أن يعلم أن معنى العادة في اللفظ أن ينقل إطلاق لفظ واستعماله في معنى حتى يصير هو المتبادر من ذلك اللفظ عند الإطلاق مع أن اللغة لا تقتضيه، فهذا هو معنى العادة في اللفظ، وهو الحقيقة العرفية، وهو المجاز الراجح في الأغلب، وهو معنى قول الفقهاء إن العرف يقدم على اللغة عند التعارض، وكل ما يأتي من هذه العبارات » [٢١].

وقد نقل الإمام علاء الدين الطرابلسي الحنفي كلام القرافي وأقره [٢٢].

ومن بعد القرافي قال ابن القيم الحنبلي: « فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد »[٢٣].

وهنا يظهر أمران:

الأول: أن الفتوى هي التي تتغير وليس الحكم الشرعي.

الثاني: أن الفتوى التي تتغير يكون حكمها الشرعي مرتباً على العوائد والأعراف.

ومن الأمثلة التي يذكرها الفقهاء على ذلك: ما يخرج في صدقة الفطر، فإن الحديث جاء بإخراج صاع من تمر أو شعير أو زبيب أو أقط، فرأى العلماء أن هذه الأقوات كانت هي غالب القوت عندما قال رسول الله ﷺ ذلك الحديث في ذلك الزمان، فكأنه قال: أخرجوا صاعاً من غالب قوت البلد التي أنتم فيها، وعلى ذلك أفتى العلماء بجواز إخراج صاع من الأرز والذرة ونحوه إذا كان هذا هو غالب قوت البلد في زمنهم، فبالنظر المجرد إلى الفتوى بجواز إخراج الأرز والذرة يقول القائل: قد حدث تغير في الحكم، وبالنظر إلى حقيقة الأمر وأن المطلوب هو إخراج الصاع من غالب قوت البلد، فليس هناك تغير في الحكم الشرعي، كل ما هنالك أن الذي تغير هو غالب قوت البلد، والحكم باق على ما هو عليه، وهذا المثال ونحوه قد ينظر إليه على أنه تغير للفتوى بتغير الزمان، والحقيقة أن الزمن بمجرده ليس مسوّغاً لتغيير الفتوى لأن هذا هو النسخ الذي لا يملكه أحد إلا الشارع وإنما نسب التغيير لتغير الزمان في كلام بعض أهل العلم؛ لأن الزمان هو الوعاء الذي تجري فيه الأحداث والأفعال والأحوال، وهو الذي تتغير فيه العوائد والأعراف، فنسبة تغير الفتوى لتغير الزمان من هذا الباب، وإلا لو ظل العرف كما هو عدة قرون لم يكن أحد مستطيعاً أن يغير الفتوى.

٢ - وجود السبب وتحقق الشرط وانتفاء المانع أو عدم بعض ذلك:

من المعلوم أن الأحكام مرتبة على وجود سببها، فإذا وجد سبب الحكم وتحقق شرطه وانتفى المانع، انطبق الحكم على الواقع، فإذا تخلف أحد الشروط أو وجد أحد الموانع انطبق حكم آخر على الواقع.

والناظر من بعيد يرى أن الواقعتين متشابهتان، ولهما حكمان متغايران، فيظن أن الحكم قد تغير، والحقيقة أن الواقعتين وإن كانتا متشابهتين لكنهما غير متماثلتين، فهما واقعتان

٢١-الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، ص ١١١، ١١٢.

٢٢-انظر: معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، ص ١٢٩.

٢٣-إعلام الموقعين، ٣/١٤.

مختلفتان لكل منهما حكم يخصها، ونضرب مثلاً لذلك، لو أن رجلاً ملك نصاب الزكاة، ثم استفتى أهل العلم عن وجوب إخراج الزكاة؛ فإن المفتي يسأله: هل حال على النصاب الحول ؟ فلو قال: نعم. وسأله: هل عليك دين ؟ فقال: لا. هنا يجيبه المفتي بقوله: نعم تجب عليك الزكاة. ويحدد له المقدار الواجب إخراجه حسب نوع المال الذي يملكه، فلو بعد فترة من الزمان جاءه الرجل نفسه وسأله: هل عليَّ زكاة ؟ فإذا سأله المفتي: هل عليك دين ؟ وقال: نعم، علي دين يستوعب أكثر مالي حتى لا يبقى منه قدر النصاب. هنا يقول المفتي: ليس عليك زكاة. والرائي غير المتبصر يرى أن الحكم تغير، والأمر ليس كذلك، فالحالة الأولى وجد السبب وتحقق الشرط وانتفى المانع، وأما الحالة الثانية فقد وجد المانع وهو الدين، فهنا حالتان مختلفتان، لكل حالة حكم في الشرع، وليس في هذا اختلاف، وفي مثل هذا يقول الشيخ عابد السفياني -وفقه الله-: « إن تلك الواقعة التي تغير حكمها؛ إما أن تكون هي هي عند تغير الحكم بجميع خصائصها والحيثيات التي تكتنفها، وإما أن تختلف في بعض خصائصها وحيثياتها، فإن كانت الأولى فنحن نتازع أشد المنازعة في تغير حكمها؛ لأن ذلك هو النسخ والتبديل المنهي عنه كما سيأتي بيانه، وإن كانت الثانية فليست في موضع النزاع؛ لأنها حينئذٍ حادثتان، وحادثتان متميزتان من حيث خصائصهما والاعتبارات التي تحفهما لهما حكمان ليس غريباً ولا عجيباً، ولا يقال له تغير ولا تبدل »[٢٤].

وبالمثل لو أن شخصاً سرق ثم تبين أن شروط إقامة الحد غير مستوفاة، فلم يحكم عليه القاضي بالقطع، فإنه لا يقال هنا قد تغير الحكم ولكن شروط إقامة الحد هي التي لم تكتمل، وهذا هو الذي حدث في عهد عمر - رضي الله عنه - عام المجاعة عندما قُحط الناس، وتعرضوا للهلاك بسبب الجدب، أصبح كثير ممن يسرق إنما يسرق لاضطراره إلى ذلك ليدفع عن نفسه الهلاك، وهذه حالة تدرأ عن صاحبها الحد، ونظراً لأن الأمر كان منتشراً واختلط من يسرق للضرورة ومن يسرق لغير ذلك ولم يمكن تمييزهما من بعض، فصار ذلك شبهة درأ بها عمر - رضي الله عنه - الحد في عام المجاعة، فلله دره ! ما أفقهه وما أعلمه، ولما زالت المجاعة زالت الشبهة فكان من يسرق يقام عليه الحد، فليس في هذا أيضاً تغيير للحكم الشرعي؛ لأن ما فعله عمر - رضي الله عنه - في عام المجاعة كان هو الواجب في مثل تلك الحالة.

٣ - الضرورة الملجئة:

هناك أحوال اضطرار يقع فيها العبد المسلم مما يكون معه مضطراً لفعل ما حرم الله، ومن رحمة الله بالعباد أنه في هذه الأحوال لم يجعل عليهم إثماً فيما فعلوه، والناظر غير المتبصر يظن أن الحكم اختلف، وهما في الحقيقة حالان مختلفان، لكل حال حكم، فحال الاختيار له حكم، وحال الاضطرار له حكم، وحالان مختلفان لهما حكمان متغايران لا يقال له تبدل ولا تغير، ولنضرب المثل لذلك، من المعلوم أن الله حرم أكل الميتة، فيحرم على العباد أكل لحوم الميتات (إلا ميتة البحر)، فمن أكل منها يقال له: هذا حرام، وقد فعلت ما يستوجب عقاب الله.

فلو تغير حال أحد الناس وصار في حالة اضطرار بحيث إذا لم يأكل من الميتة هلك؛ هنا يصدق عليه وصف المضطر، وهنا يباح له الأكل من الميتة، والحكم تغير هنا في الظاهر، ولكن في الحقيقة الحكم لم يتغير، وإنما الذي تغير هو الحال التي ترتب عليه الحكم.

٢٤-الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

ومن أمثلة ذلك ما حصل من غلمان حاطب الذين سرقوا ناقة، ولم يقطعهم عمر، فإنه أحضر عبد الرحمن بن حاطب وقال له: « والله ! لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له؛ لقطعت أيديهم »[٢٥] فهذا يبين أن عمر رأى أن هؤلاء في حالة اضطرار تدرأ عنهم الحد، وأن عقوبتهم القطع لو كانوا غير مضطرين، وقد عاقب عمر حاطباً على ذلك وأضعف عليه الغرم.

٤ - تغير الوصف أو الاسم:

هناك أحكام رُتبت على أوصاف أو أسماء، فإذا تغيرت تلك الأوصاف أو الأسماء تغير الحكم تبعاً لذلك. مثال: رجل تزوج امرأة، حل له منها ما يحل للرجل من امرأته، فلو طلقها حرم عليه منها ما كان حلالاً له، هنا تغيرت صورة الحكم لأن ما كان حلالاً جائزاً للرجل تغير وصار حراماً، وفي الحقيقة فإن المتغير هو الصفة أو الاسم وليس الحكم الشرعي؛ إذ الحكم باقٍ على ما هو عليه، وهو أن الرجل تحل له زوجته، وأن الرجل تحرم عليه غير زوجته.

ومن أمثلة تغير الاسم أو الوصف الدال على تغير الحقيقة، تغير الخمر بحيث تصير خلاً، فالخمر من أحكامها النجاسة، فإذا تغيرت حقيقة السائل المسكر وصار خلاً، فقد تغير وصف السائل وتغير اسمه وصار خلاً، والخل ليس بنجس (سواء قلنا بجواز تخليل الخمر أم لا)، وحكم الخمر لم يتغير، وإنما الخمر نفسها هي التي تغيرت.

وكمثال على ذلك أيضاً أمر الله تعالى بصرف الزكاة إلى مستحقيها بقوله:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠]. فالله بعلمه وحكمته وزع الزكاة على هذه الأصناف الثمانية، فإذا كان عام ولم نجد فقيراً يستحق الزكاة فمنعنا سهم الفقراء لعدم وجودهم، فهذا لا يُعد تغييراً، وإنما فقدنا المستحق، وكذلك إذا كان فلان من الناس يعطى من الزكاة لأنه فقير، ثم وسع الله عليه وصار غنياً ومنعنا عنه الزكاة فلا يقال إن الحكم تغير، بل صفة هذا الشخص التي يستحق عليها الزكاة هي التي تغيرت، وهكذا فعل عمر - رضي الله عنه - في سهم المؤلفة قلوبهم، فالمؤلفة قلوبهم هم من يعطون من الصدقات لأجل تألف قلوبهم على الإسلام، أو لأجل ضعف المسلمين حتى يأمن المسلمون شرهم، فهو حكم معلق على وصف وليس على أشخاص بأعيانهم، فإذا تحقق هذا الوصف في شخص أو عدة أشخاص فأعطيناهم سهم المؤلفة قلوبهم، ثم جاء العام الذي يليه وقد فقدوا وصف المؤلفة (كأن حسن إسلامهم، أو قوي المسلمون فلم يعد بهم ضعف) فمنعنا عنهم سهم المؤلفة قلوبهم؛ فليس في هذا تغير للحكم، وإنما الذي حدث أن هؤلاء الأشخاص استحقوا السهم في المرة الأولى لانطباق الوصف عليهم وليس لأشخاصهم، ثم فقدوا الوصف في العام الذي يليه، ففقدوا ما كان مترتباً على الوصف، وهذا إعمال للحكم الشرعي وليس تغييراً له.

٥ - تدافع المأمورات أو المنهيات:

قد يكون هناك أمران مطلوب تحصيلهما ولكن لا يمكن تحصيل أحدهما إلا بتفويت الآخر، فهما على ذلك متدافعان، كما أنه قد يكون هناك أمران مطلوب اجتنابهما ولا يمكن اجتناب أحدهما إلا بفعل الآخر، فهنا تُحَصَّل أعظم المصلحتين، وتُدفع أقبح المفسدتين، فمثلاً:الشهادة يُطلب فيها العدول، فإذا لم نجد العدول صرنا بين أمرين: إما ضياع الحقوق، وإما قبول شهادة

٢٥-انظر : تنوير الحوالك ، شرح موطأ مالك ، ٢/ ٢٢٠ .

غير العدول، أمران أحلاهما مر، وقد أفتى أهل العلم في مثل ذلك أن لكل قوم عدولهم، وعلى القاضي أن يتوسم فيهم ويقبل أكثرهم صلاحاً وأقلهم فجوراً، فقد ينظر هنا إلى أن هذا من قبيل تغيير الحكم، وذلك بقبول شهادة من لا يعرف بعدالة، والحقيقة أن هذا من باب التعارض وأنه لا يمكن تحصيل أحدهما إلا بتفويت الآخر، وهي فتوى وليست حكماً، وهي فتوى خاصة بمثل هذه الحالة؛ بمعنى أنه إذا وجد العدول في هذا المكان لم تُقبل شهادة غيرهم.

قال الإمام علاء الدين الطرابلسي الحنفي: « قال القرافي في باب السياسة:

نص بعض العلماء على أنه إذا لم نجد في جهة إلا غير العدول؛ أقمنا أصلحهم وأقلهم فجوراً للشهادة عليهم، ويلزم ذلك في القضاة وغيرهم لئلا تضيع المصالح، قال: وما أظن أحداً يخالف في هذا، فإن التكليف شرط في الإمكان، وهذا كله للضرورة لئلا تهدر الأموال وتضيع الحقوق، قال بعضهم: وإذا كان الناس فساقاً إلا القليل النادر قبلت شهادة بعضهم على بعض، ويحكم بشهادة الأمثل فالأمثل من الفساق، هذا هو الصواب الذي عليه العمل، وإن أنكره كثير من الفقهاء بألسنتهم »[٢٦].

٦ - وجود العارض وزواله:

قد يكون هناك شيء محبوب شرعاً لكن يخشى من فعله أن يترتب عليه تكليف قد لا يقوم به الناس، فيترك هذا الشيء لذلك العارض، فإذا زال العارض رجع الأمر إلى حاله الأولى، وقد يظن أن هذا تغيراً للحكم وإنما هو من باب زوال العارض، مثال ذلك امتناع الرسول ﷺ عن قيام الليل في رمضان في المسجد بعدما فعل ذلك عدة ليال، وذلك خوفاً من أن يفرض قيام الليل على المسلمين رحمة منه ﷺ بالمسلمين، فلما زال هذا الأمر بوفاة الرسول ﷺ وأُمن عدم فرض قيام الليل؛ جاز الاجتماع في المسجد في رمضان لقيام الليل، وليس في هذا تغيير للحكم الشرعي.

٧ - تغير الآلات والوسائل:

هناك من الأحكام الشرعية ما يكون تنفيذها عن طريق آلة أو وسيلة، والشريعة لم تحدد في كثير من الأمور الآلات والوسائل التي يتحقق بها الحكم الشرعي، بل تركتها ليختار المسلمون في كل زمان ومكان ما هو أنفع لهم وأصلح وأفضل في تنفيذ الحكم الشرعي؛ إذ ربما لو ألزم المسلمون بآلة أو وسيلة معينة لتعسر عليهم ذلك، ووجدوا في ذلك من المشقة والحرج الشيء الكثير لا سيما أن الوسائل والآلات تتعدد وتتباين، وقد يكون بعضها ميسراً وبعضها غير ذلك، وقد يختلف العسر واليسر بالنسبة للآلة أو الوسيلة نفسها باختلاف الزمان والمكان، والله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، فله الحمد والمنة.

مثال ذلك: أمر الله تعالى المسلمين بالجهاد في سبيله وقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠]، وقد كانت القوة المستطاعة في ذلك الزمان هي السيف والرمح والترس ونحو ذلك، فإن المفتي والعالم في ذلك الزمان: يقول يجب على المسلمين إعداد السيوف والرماح والحراب وما أشبه ذلك، ثم بعد الزمن المتطاول الذي أوصل إلى عصرنا يقول المفتي والعالم الآن يجب على المسلمين إعداد المدفع والدبابة والصاروخ والطائرة، ولا يجب إعداد السيف ولا الرمح ولا الحربة، فقد وجب اليوم ما لم يكن قبلُ واجباً، وسقط وجوب ما كان قبلُ واجباً، وهذا قد ينظر إليه على أنه تغير في الحكم الشرعي، والحقيقة أن الحكم لم يتغير؛ لأن الحكم الشرعي هو وجوب إعداد القوة المستطاعة،

٢٦-معين الحكام، ص ١١٧ .

وكانت القوة المستطاعة في الزمن الأول: السيف والرمح ونحوه، وصارت اليوم المدفع والصاروخ، ونحوه، وقد تكون بعد فترة من الزمن شيئاً آخر فالحكم الشرعي لم يتغير، وإنما الذي تغير هو الآلة أو الوسيلة التي يتحقق بها الحكم الشرعي في الواقع، وهذه الآلات والوسائل والأساليب المستجدة، لا يكفي فيها أن تكون محققة للحكم الشرعي بل هي محكومة بشروط هي:

١ - ألا تعارض قاعدة كلية من قواعد الشريعة.

٢ - ألا تخالف دليلاً من أدلة الشرع التفصيلية.

٣ - ألا يترتب عليها مفسدة تربو على المصلحة المتحصلة منها[٢٧].

من كل ما تقدم يتبين أن مسألة تغير الفتوى ليست مسألة متعلقة بالزمان المجرد، أو المكان المجرد، وكأن الزمان والمكان هما سبب تغيير الفتوى، ولكن لما كان الزمان والمكان أوعية للأحداث والأفعال والتغيرات والعوائد والأعراف نُسب التغير للزمان والمكان، وهذا يطلق عليه في عرف البلاغيين مجاز مرسل علاقته الظرفية، وقد تبين بما تقدم أيضاً أن الموضوع منضبط وله قواعد تحكمه، وليس هو مجرد استجابة أو إذعاناً لضغط الواقع، وهذه الأمثلة المتقدمة يمكن أن تندرج تحت قسمين كبيرين:

الأول: فتاوى مؤسسة من أول أمرها على العرف أو المصلحة المرسلة، ثم يتغير العرف أو المصلحة بتغير الزمان والمكان، فتتغير الفتوى تبعاً لذلك.

الثاني: فتاوى مؤسسة على نصوص، لكن هذه النصوص كانت معللة بعلة أو راعت عرفاً قائماً، أو كانت مرتبة على صفة أو مقيدة بحالة ونحو ذلك، فإذا زالت العلة أو تغير العرف أو الصفة أو الحالة؛ فإن الفتوى تتغير أيضاً لذلك[٢٨].

ويمكننا أن نلاحظ مما تقدم عدة أشياء:

١ - أن عملية تغير الفتوى بتغير ما هي مرتبة عليه؛ إنما هي عملية تهدف إلى إبقاء الأمور تحت حكم الشريعة، وإن تغيرت صورتها الظاهرة، وهي ليست خروجاً على الشريعة واستحداثاً لأحكام جديدة.

٢ - أن التغير في الفتوى هو تغير خاص من حيث الزمان والمكان والشخص، حيث تتغير فقط بالنسبة للزمان أو المكان أو الشخص الذي تغيرت في حقه مسوّغات الفتوى، وهذا معناه أن الأمور تكون باقية على ما هي عليه في بقية الأماكن والأزمان والأشخاص.

٣ - أن أهل العلم عندما قالوا بمراعاة الأحوال والعوائد ونحوها؛ إنما قالوا ذلك حتى لا يقعوا في الظلم: إما ظلم العباد بإلزامهم بما لم يلزمهم به الشرع، وإما ظلم أنفسهم بالخطأ على الدين.

٤ - أن الذي يقول في حق هذه العوائد والأعراف إنها تغيرت وبالتالي تتغير الفتوى المرتبة عليها؛ إنما هم أهل العلم والمعرفة بالشرع، وليس أهل الهوى والجهل.

٥ - أن العرف الذي تتغير به الفتوى ليس هو العرف الحاصل من وقوع الناس في مخالفة الشرع، فإذا صار من عرف الناس اليوم في بعض البلدان خروج المرأة كاشفة صدرها ونحرها، وكذلك إذا صار من عرف الناس التعامل بالربا في البنوك الربوية؛ فإن هذا العرف لا تتغير به الفتوى؛ لأنه عرف قائم على مخالفة الشرع فلا يعتد به؛ إذ العرف الذي يعتد به هو ما لم يكن مخالفاً للشرع.

وأختم المقال بقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: « ليس لأحد أن يغير شريعته التي بعث بها رسوله، ولا يبتدع في دين الله ما لم يأذن به »[٢٩].

٢٧-انظر: تحطيم الصنم العلماني، محمد بن شاكر الشريف، ص ٥٩

٢٨-انظر: (شيخ الإسلام ابن تيمية والولاية السياسية الكبرى)، د/ فؤاد عبد المنعم، ص ٧٧، ٧٨.

٢٩-مجموع الفتاوى، ١٩٦/٢٢.

مجالس الأسرة المسلمة في رمضان

صفية الودغيري

مع حلول موسم رمضان من كل سنة، نجد الأسر المسلمة تستعد له بأشكال مختلفة، منها الايجابي ومنها السلبي..

وهذا يدعونا لوقفات مع ما هو سلبي منها، مثل العادات الرمضانية التي توارثناها، فنشرع في تغييرها والقيام بحق ما أوجبه الله علينا، من عبادات ومعاملات لها علينا أحكام ملزمة، نجازى على فعلها ونحاسب على تركها.

ونعوّد أبناءنا على أن يتحرروا من نير استعبادها وتحكم سلطانها، فيشبوا على الالتزام بكل ما يوافق شريعتهم قولا وفعلا ومنهاجا..

ونغرس في نفوسهم جذور القيم والمبادئ التي تعلمناها من وحي ديننا، ونربيهم عليها ليترجموها في أقوالهم ومعاملاتهم..

إن توجيهاتنا التربوية والدينية، لكفيلة أن تخلف آثارها الإيجابية على أولادنا، فتظل نقشا محفورا في ذاكرتهم..

وحين نزرع في نفوسهم جذور الثقة المتبادلة بيننا وبينهم، ونضعهم أمام صورة صادقة في رسمها وألوانها، نقدم لهم نموذجا واقعا للقدوة الحسنة التي هم بحاجة إليها، ليتمسكوا بمنابع الهداية الربانية كتابا وسنة.. وبمنابع المعرفة الصحيحة.. إننا بهذا نعلمهم كيف يحيون الحياة الطيبة الكريمة في ظلال طاعة الله، ونشعرهم بلذة تذوق حلاوة الإيمان تسري إلى قلوبهم، فيصير لحياتهم معنى وغاية تربطهم بهذا الفيض الغامر المتدفق باستمرار..

إنه الامتثال الحقيقي للتوجيه الرباني والنبوي في إقامة أسرة مسلمة على المنهج الرباني.

* فقد وصى الله الآباء برعاية الأبناء والأهل في قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]

* فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته , الإمام والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته , والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها , والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته , وكلكم راع ومسؤول عن رعيته (» رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم(١٨٢٩) .

كل فرد منا في امتثاله هذا يرعى أسرته الرعاية الدينية الصحيحة، ويؤدي واجبه في تحمل مسؤولية بذل الجهد في إنجاز رسالة التغيير..

لكن حين نقصر في أداء هذا الواجب، فلا نبدل من أحوالنا، ولا نغير من سلوكنا وطريقة تعاملنا داخل البيت وخارجه، سواء في رمضان أو غيره من فصول السنة ولا نعمل بالتوجيه الرباني ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

يتحقق فينا وعيد اللّه وعقابه، فتجري علينا سنة اللّه التي لا تبديل لها، فنُسلب أنعم اللّه علينا وهباته، فيتحول أمننا خوفا، وغنانا فقرا، وعزتنا ذلا وتمكيننا هوانا..

إنه شهر كريم وموسم عظيم، غامر بنفحاته، سخي في هباته، أبواب خيراته وبركاته مشرعة أمام كل والج عامل، فلنسارع للتزود من فضل أيامه المحفوفة بالمغفرة والرحمة والعتق من النار.. ولنضاعف من صالح الأفعال وطيب الكلام تحصيلا لأجرها الوافر.. فنكون ممن صدق فيهم * ما روي عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال:{من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه } أخرجه البخاري (٣٥، ٣٨وغير موضع) ومسلم (٧٥٩، ٧٦).

ولا ننس أن أعمارنا تفوت بسرعة وتنفلت منا السنوات انفلات الركب السائر، فلنتعجل سعينا للتغيير قبل الرحيل، ولا نجعل رمضانا مضى هو نفسه رمضان اليوم، ورمضان المستقبل الذي لا ندري أسندركه أم لا.

ولنجاهد على تصحيح أخطائنا وزلاتنا التي نكررها سنة تلو الأخرى، ونتصدى لأهوائنا فنجعلها متبوعة لنا لا تابعين لها، ولقد حذرنا نبينا محمد ﷺ من عدم مخالفة الهوى حيث قال فيما رواه عنه عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما:) لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) (ذكر النووي رحمه اللّه هذا الحديث، وإن كان لم يُخرَّج في الست، ولكن خُرِّج في كتاب: الحجة على من لم يسلك الطريق والمحجة للمقدسي، وله شواهد من الكتاب ومن السنة).

ولا نفسح مكانا لفتن تتوالى علينا، فتحملنا على مراكبها، وتبحر إلى حيث لا مرسى .

ولنعلم إن اللّه يبتلينا ويمتحننا في كل زمن، والصيام ساعات من هذا الزمن، إلا أن لها خصوصية الفضل في التشريف، فلا ندعها تمر مرور سواها، من غير أن نغنم مضاعفة أجورها، والحكيم من يصطاد فيها صيد الجواهر ويكون رابحا فيها لا خاسر * يقول الحق سبحانه﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣]

إننا لو تدبرنا مآلنا وما صار عليه حالنا، سنكتشف أننا لدينا من التقصير ما يلزمنا طول العمل والإلحاح في طلب المغفرة والعفو..فالمواعظ ما عادت تعظنا.. والدروس نظل نسمعها كل سنة من كل رمضان فلا تغيرنا، ونهب إلى حلق العلم، نزاحم أقواما عليها، لكن قلوبنا عنها غافلة وعقولنا عن تدبرها شاردة، وآذاننا عن سماعها غير واعية، ترى أجسادنا تحملنا إليها بخطى مسرعة، لكن أرواحنا عنها نائية مهاجرة، نفوسنا تحلق في كل ناد هائمة، تجر أذيالها تارة إلى مجلس طرب ولهو يطربها، وتارة إلى مجلس تجارة مربحة أو تسعى

إلى سوق البورصة تتابع أحوال الأسهم في ارتفاع أسعارها وانخفاضها، وقد تقتصر على مجالس يكثر فيها اللغو في أحاديث لاهية وسجالات كلامية غير نافعة...

مجالس لا تحصد منها النفس إلا ضياع أوقات نفاس وتبذير ساعات ثمان، ومنغصات مكدرات خواطر، وطمع متزايد على زخرف دنيا زائل، أو تعلق صارخ بفتنة زينتها الخادع.. يصرف عن عبادة رب العباد وطاعته، والانشغال بذكره..

* ولقد نبهنا الحق سبحانه لهذه الفتن في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[آل عمران:١٤].

لقد آن لهاته القلوب أن تفر إلى الله بدءا من هذا الشهر الكريم، وتتعجل تخليتها من الشوائب ومن كل ما يشغلها ويصرفها عن وصل حبالها بالله وتوثيق عراها به، ولتلزمها الارتواء من حياض المعرفة حتى يصفو القول ويصح العمل..

وتتعود حياة الزهد في ترك مشتهيات الطعام والشراب، حتى يدعوها إلى زهد في مشتهيات الدنيا وفيما عند الناس، زهد لا مغالاة فيه، تصرف صاحبها عما أحل الله له من الطيبات * يقول الحق سبحانه﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٢].

لأن كثرة الإقبال على المشتهيات تورث الغفلة، وهي تقسي القلب، وتعميه عن رؤية الحق واتباعه، * ولقد أرشدنا نبينا محمد ﷺ إلى تعريف حكيم ومعنى بليغ للزهد من خلال التخفيف من الطعام والشراب فقال:(ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه(أخرجه أحمد٤/ ١٣٢ وابن ماجة ٣٣٤٩ والترمذي ٢٣٨٠ من حديث معد يكرب رضي الله عنه.

إن أسرنا في رمضان تحتاج إلى تربية وتوجيه، وتمرين شديد على قيادة النفس إلى أعلى المراتب وأسنى المطالب، في المبادرة إلى اغتنام الساعات بالقول والعمل الصالح، ونصوص الكتاب والسنة تدعو إلى ذلك، كما تحذر من العقاب الشديد لمن يغتر بقصور عمله، ويغريه طول أمله ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾[النساء:١٧٣ - ٢٨٤].

فكيف نربي أسرنا المسلمة على اغتنام ساعات رمضان بالأعمال الصالحات ؟ وكيف نسعى للتغير من طباعنا وسلوكنا وأقوالنا وأحوالنا في رمضان فنحول مجالسنا من مجالس لهو وتضييع أوقات إلى مجالس طاعات واغتنام ساعات ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه

هَدْي الأبرار في مخاطبة الصغار

سحر شعير

حدث بالفعل، يقول محمد: لقد كانت أمي تأخذني مراراً إلى الشاطئ وتشير بإصبعها إلى أسوار القسطنطينية وتقول لي: "أنت فاتح تلك المدينة، ولمثل هذا اليوم أربيك". ثم يضيف: "فكنت وأنا صغير أركب الفرس وأقتحم به الموج ناحية القسطنطينية متخيلاً يوماً أقود فيه الجيوش لفتحها..إلى أن كان..!

عزيزي المربي:

من الذي زرع هذا الهدف الكبير بقلب السلطان محمد الفاتح -رحمه الله تعالى- ؟

إنها كلمات الأم الإيجابية التي حركت مشاعره وألهبت حماسه، وعرفته بنفسه بطلاً منذ أن وعى،فصار كذلك.

إنّ ما يسمعه الطفل عن نفسه هو ما يصبح عليه في المستقبل، وهذه حقيقة تربوية على مستوى البشر أجمعين، فالكلمات لها تأثير فعّال وهائل، لأن كل كلمة أو عبارة تحمل للطفل رسالة عن نفسه وعن علاقته بالعالم الخارجي، ومع الوقت والتكرار تصبح اعتقاداً راسخاً وحقيقة بداخله يبرمج نفسه عليها.

وبالفعل قد تحول كلام الأب أو الأم أو المدرس إلى نبوءة يعمل الطفل على تحقيقها في أرض الواقع، ويدفع نفسه لا شعورياً للتماشي معها.

ولأن الكلام لا ينقطع بين المربي وأبنائه على مدار اليوم والليلة لسنوات ممتدة.

كان علينا أن نقف قليلاً لنراجع معاً مفردات خطابنا اليومي للأبناء. في أي الاتجاهات تسير وما هي الرسائل التي توصلها لهم؟

لقد أسفرت إحدى الدراسات التربوية بهذا الشأن عن نتيجة مؤلمة إذ تقول: "إنّ الفرد وإلى أن يصل إلى سنّ المراهقة يسمع ما لا يقل عن ٦٠٠٠ كلمة سيئة، مقابل بضع مئات من الكلمات الحسنة أو الطيبة «..! (كريم الشاذلي: الآن أنت أب، ص:١٠١).

ولأن الصورة التي يرسمها الطفل عن نفسه هي نتيجة كلماتنا عنه؛ كان لنا أن نبين هذه الومضات التربوية في الطريقة المثلى لمخاطبة الأبناء بشكل إيجابي وبنّاء:

- خاطبهم على قدر عقولهم:

فالمطلوب مخاطبة الأبناء في حدود إمكاناتهم ومستواهم العقلي، وهذا من الجانب التطبيقي لهدي النبي ﷺ وسنته في مخاطبة الناس عموماً على اختلاف طبقاتهم في الفهم والإدراك، فالأعرابي الذي تعامل معه بشدة؛ كان حليما معه، وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»رواه البخاري. وفي مخاطبة الصغار بشكل يتناسب مع مداركهم التي لا تزال في بواكيرها.

ولقد أشار الإمام الغزالي رحمه الله تعالى إلى تلك القاعدة التربوية بقوله: "ويقتصر المعلم بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره» «د.محمدبدري:اللمسةالإنسانية،ص٤٧٠-بتصرف».

كما أنّ كلا من الأبناء يحتاج إلى لغة الخطاب التي تتفق مع عمره، ومستواه العقلي والإدراكي، والمرحلة التي يمر بها، ومن ذلك أيضاً أن يلتزم بالخط اللغوي الذي يستوعبه الابن، ولا يتحدث

معه بلغة ذات أبعاد ومعان بعيدة لم يصل إليها بأفكاره بعد، ولم يستوعب معانيها، فالإجابة على أسئلة الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة وحواراتهم مع والديهم تختلف لغة الخطاب فيها تماماً عن حوارات المراهقين الأقرب إلى الجدال والمماراة، وهكذا لكل مقام مقال.

قلل من الأوامر والنواهي:

كثرة إلقاء الأوامر تساعد على تكون المقاومة لدى الطفل، فطفلك مثلك تماماً لا يحب الأوامر الكثيرة المتتالية والتي تحد من حريته، وتؤدي به إلى العصيان والتمرد.

ولو أننا راقبنا ألفاظنا يوماً واحداً، لوجدنا أنّ أسلوب الأمر يحتل الغالبية العظمى من مفردات حديثنا مع الطفل، وهو ما لا يساعد في بناء شخصيته بناءاً متوازناً سليماً. (كريم الشاذلي: الآن أنت أب،ص:١١٧).

فلتكن تلك الأوامر على شكل اقتراح أو طلب، من خلال جمل قصيرة وإيجابية، فبدلاً من: "لا ترم كتبك - توقف عن الإهمال والفوضى" تقول بحزم:» الكتب مكانها فوق الرف».

تكلم بوضوح ولا تعمم:

تفشل الإرشادات إذا كانت غير واضحة للطفل، يكتنفها التعميم والغموض، فمثلاً إذا قلت لولدك وقد تناثرت لعبه في أرجاء حجرته: "لا تترك لعبك هكذا» فماذا عساه أن يفهم من هذه العبارة؟ قد لا يفهم ما الذي عليه أن يفعله، وبالتالي سيحجم عن فعل أي شيء، بينما لو كانت العبارة: "اجمع لعبك، وضعها في السلة المخصصة لها»

فقد توصل هذه العبارة أمراً واضحاً للطفل يمكنه أن يقوم به. وقولك: "اذهب ونظّف غرفتك "،هذه الجملة قد يتبعها التقصير من الصغير، بخلاف قولك: "اذهب وضع ملابسك في الدولاب، واللعاب في الصندوق، والكتب في المكتبة، ثم اجمع المهملات من على الأرض وضعها في سلة القمامة»

وهكذا فالعموميات في الألفاظ لا يفهمها الطفل لأنها تعطيه توجيهات غير دقيقة.

اختصر..فخير الكلام ما قل ودلّ:

لا يتحمل الطفل أن يتلقى باستمرار محاضرات كلامية لا تجدي نفعاً، خاصة في حالة تعليمه سلوكا أخلاقيا، فغرس السلوك الحسن له أساليب فعّالة سوى الكلام، إذ لا تمثل الكلمات سوى ٧٪ من عملية الاتصال، بينما تمثل نبرة الصوت ٣٨٪، في حين تمثل حركات الجسم وتعبيرات الوجه ٥٥٪ .

كذلك فإنّ مدة تركيز الطفل بشكل متواصل = عمر الطفل+ دقيقتين. وهذا يعني أن طفل الخامسة يستطيع أن يركز لمدة سبع دقائق متصلة، لذلك يحسن بك-عزيزي المربي- مراعاة قلة الكلام وانتقاء الألفاظ عند توجيه الطفل، مع الاهتمام بالإيماءات ونبرة الصوت والإشارات والحركات.» محمد سعيد مرسي: كيف تكون أحسن مربي في العالم؟،ص:١١٩»

غيّر من نغمة صوتك:

فصوتك أداة فعّالة، وتنوع النبرات الصوتية بحسب الانفعال النفسي من معجزات الله سبحانه . في جانب البيان الإنساني.

بل قد يكون صوت الإنسان من أهم وسائل التعبير عما يريد، وتراوح نغمة الصوت بين الارتفاع والانخفاض، والانحباس والانطلاق، والسرعة والبطء في الأداء، والرقة والفخامة، يؤدي إلى توصيل المعاني بشكل صحيح. وقد يفلح تغيير مستوى الصوت في توقف المشاغبة أو إلزام الطفل بفعل ما تريد .(عمرو أبوليلة - نسيبة أحمد: حتى لا يتحول طفلك من امبراطور إلى ضفدعة، ص: ٥٥).

لا لعسف الأوامر:

ونقصد هنا الأسلوب الخطابي الذي يحتوي على ألفاظ متعسفة، ويتضمن إملاء الأوامر على مسامع الطفل بأسلوب ينتهره، ولا يقبل منه مناقشة تلك الأوامر، كما يخلو عادةً هذا الأسلوب من احترام رغبات الطفل ولا

يمنحه اختيارات، بل يلزمه بتنفيذ رغبات الوالدين فقط، وعلى الفور، وبدون مناقشة، مع التهديد والتلويح بالعقاب إذا حدث ثمة تأخير، مثل: "انتبه، اسكت، امنع الصوت، اخفض صوتك، لا تتحرك، اذهب لغرفتك، اذهب الآن للبقالة واحضر الطلبات،.... "وهكذا.

إنّ أقل الأضرار التي تسببها الأوامر الصارمة والأساليب التسلطية، هي إصابة الطفل بالخوف بسبب شعوره الدائم بالإحباط والفشل، وعدم ثقته بنفسه، وعجزه عن تأكيد ذاته.(زهرة عاطفة زكريا: التربية الخاطئة وعواقبها،ص:٥٦).

كيف تنقدهم؟

بيّن رأيك بوضوح في أبنائك، فإنهم يحبون الاستماع إلى تقويمك لهم، ومدى رضاك عنهم وعن إنجازاتهم في الدراسة والأعمال المنزلية، وأسلوبهم في الكلام والمظهر والهندام، وهذه فرصة جيدة للإطراء والمدح والافتخار إذا أحسن الأبناء، فيكون الأمر صريحاً معلناً بصورة تتناسب مع حجم العمل المنجز.

وفي حال عدم الإعجاب بما قدموه اليوم، فلا بأس من أن تعطي رأيك بصراحة، ولكن بأسلوب هيّن لينّ..لا يحطم محاولات الأبناء ويقدم لهم البدائل، كي يشعر الأبناء بمدى قربك منهم، ودرايتك بهم، ومتابعتك لأعمالهم، فيزيدهم هذا الأسلوب حماساً وجهداً وإنتاجاً. مع ملاحظة أن يكون قصدك النصيحة لا الفضيحة.

ولكي يكون النقد بنّاءاً يجب أن يكون بعيداً عن الفضيحة والتشهير إن كان يتعلق بأمر سلبي، وأما إذا كان من قبيل الإطراء وذكر محاسن الأبناء، فيكون معلناً. (د.محمد فهد الثويني: كيف تكونا أبوين محبوبين؟،ص:١٣).

لا للتهديد:

(اسكت وإلا أحضرت لك البوليس، اذهب لتنام أو احبسك في حجرة الفئران.. !)

كثيراً ما تنطلق عبارات التهديد من فم الوالدين موجهة للأبناء، محاولين بذلك حجزهم عن ارتكاب خطأ ما، على حين يعتبر التهديد المستمر وسيلة تربوية تعلن عن فشلها، فالمربي الذي يظل طوال اليوم يهدد ويتوعد؛ إنما يعبر بذلك عن ضعف شخصيته وهذه هي الفكرة التي تنطبع حتماً في ذهن الأبناء عنه.

كما أن التهديدات العنيفة التي تنطلق نارية في لحظات الغضب؛ تحدث نتائج عكسية تماماً، فهي تجعل الطفل لا يعبأ بها، بل ويتجاهل مصدرها، لأنه سرعان ما يدرك أن تلك التهديدات غير جادة، وأنّ شيئاً منها لن يحدث.

زيّن عباراتك:

زيّن كلامك وألفاظك وعباراتك، وكل ما يصدر من فمك لأبنائك بألفاظ تعبر بصراحة عن عظيم حبك لهم، وتقديرك لذواتهم، وأنك تشتاق إليهم إذا غبت عنهم، فالكلمة الطيبة صدقة، ولها أثر كبير على نفسية الأبناء وتعلقهم بالوالدين، فكن أباً رحيماً لا يهجر الحب قلبه، صاحب قلب معطاء ومحب بلا شروط.

وأخيراً..عزيزي المربي..كن هادئاً

فكلما كان صوتك هادئاً؛ كان طفلك أسرع في الفهم والقبول، وكلما كان الإرشاد رفيقاً، حصلنا من أبنائنا على ما نريد من السلوك الجيد، وأشعرناهم بالخجل من تصرفهم الخطأ.

المراجع:

- اللمسة الإنسانية: د.محمد بدري.
- كيف تكون أحسن مربي في العالم؟: محمد سعيد مرسي.
- التربية الخاطئة وعواقبها: زهرة عاطفة زكريا.
- كيف تكونا أبوين محبوبين؟:د.محمد فهد الثويني.
- تربية الأولاد بين الإفراط والتفريط:صالح بن عبد الله العثيم.
- حتى لا يتحول طفلك من امبراطور إلى ضفدعة:عمرو أبو ليلة - نسيبة أحمد.
- الآن أنت أب: كريم الشاذلي.

ثقـــــــافة الزوجة.. تجدد وارتقـــــــاء

يوسف إسماعيل سليمان

العلاقة الزوجية الناجحة من أهم أسباب سعادة الزوجين واستقرارهما، ومصدر خير لهما وللمجتمع من حولهما، ولذا فإنها تستحق منا أن نوليها من العناية والرعاية ما تستحقه.

ورغم أن أي علاقة بين طرفين يتحقق نجاحها واستمرارها بدعم من هذين الطرفين، إلا أن المرأة المسلمة التي تعرف حق ربها وزوجها ستبقى هي الطرف الأحرص والأقدر على الارتقاء بنفسها وبأسرتها إلى الآفاق الأكثر سموًا شعورًا وسلوكًا؛ يحدوها إلى ذلك علمها بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[الشمس:٩]، وقول النبي ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»[رواه الترمذي وابن ماجه]، كما أنها تعلم أن الزوجة هي ربة البيت وملكته، ومسؤوليتها في رعايته، والعناية به، والارتقاء به- هي من ألزم واجباتها، وأكثرها أهمية، وأبعدها أثرًا في رضا ربها ومن ثم زوجها، وضمانة أكيدة لتماسك أسرتها وصلاحها، قال ﷺ: "والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها"[متفق عليه].

ولكن إذا كنا نتحدث عن تميز ما نَنشده، وسعادة أكبر، ومزيج من وهج الهناءة والتألق في علاقتنا الزوجية، فهذا يتطلب منا مزيدًا من البذل والعلم.

إذ كلنا نعلم، أو ربما يسمع، عن كثير من تلك العلاقات الزوجية التي كانت متوهجة متنعمة، فانطفأت وهجها، وكانت ممتلئة حيوية وحبورًا، فغَدتْ خالية الوفاض منهما، ذلك أن مضي الحياة الزوجية على وتيرة واحدة يولد الملل، حيث لا جديد يستحق الاهتمام، فيحصل مع مرور الوقت لدى الزوجين درجة من التشبُّع، فكل منهما عرف الآخر معرفة كاملة، فيصل الزوج إلى قناعة بعدم جدوى النقاش أو النصيحة؛ لعلمه سلفًا بحدود زوجته المعرفية، وطاقتها الثقافية، فيصبح التصلب والصمت هما سيد الموقف، ويرى الزوج أن السكوت أجدَى عليه من حديث يدرك أبعاده ومنتهاه، بل وربما انعدام جدواه، حتى ولو كان محتاجًا للرأي والمشورة، أو استلهام حلول لمشكلة تؤرقه، أو انسجام تفاعلي يلائم مستواه الثقافي المعرفي، ولا شك أن هذا الصمت سيُفسر من قبل الزوجة بتفسيرات لعل أقلها سوءًا لن يكون جيدًا في انعكاساته على راحتها النفسية، فضلاً عن تفجيره للعديد من المشاكل التي ليس لها من مسوغ معقول أو مقبول.

وليس من دواء أنجع ولا أنجح لمثل هذه الحالات إلا أن تعلو قدرة أحد الطرفين على استشراف وملامسة آفاق الطرف الآخر، وإثارة شهيته وإعجابه؛ للانطلاق به إلى حيث يحب ويرضى.

أو بمعنى أخص، وهو ما يهمنا هنا، أن تثبت الزوجة أن إمكانيات التجديد والتغيير ما زالت موجودة، وأن قدرتها على الإبداع لم تَجِفّ بعدُ، ويتجسد هذا في مقدرتها على إتحاف الزوج ومفاجأته بين كل حين وآخر بتغيير ما في رأيها، أو مواقفها، أو تفسيرها تجاه بعض المسائل أو الأشخاص أو العادات نحو الأفضل والأجود.

وثقي بأنك إن جربت هذا الأمر وأَشَعْتِه في حياتك الأسرية، فسوف تشعرين بأنك تولدين من جديد، وستلوح لك في الأفق طيوف عيش مختلف أكثر إشراقًا وتجديدًا، وحيوية وسعادة.

❖ ❖ ❖

خطوات عملية لحياة أنضر وأسعد:

ولتحققي ما سبق يمكنك البدء التدريجي في الاستفادة من الإرشادات التي نوردها في النقاط التالية:

١- القراءة أفضل بداية:

قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] فالقراءة نعمة عظيمة، وهي من أعظم وسائل تكوين المعرفة الإنسانية، وأفضل طريقة لتحسين التفكير، وإمداد القارئ بأمداء لا محدودة من القدرات العقلية والروحية، ولا يتأتى هذا للزوجة المسلمة بالقراءة في مجال واحد، بل تفتح نوافذ فكرها وعقلها، لتقرأ في شتى الكتب والمجلات العلمية والأدبية والثقافية، لتُلمَّ من كل شيء بطرف، ما يوسع أفقها، وينشط ذهنها، وينمي ملكاتها، وسيكون من نافلة القول هنا التنبيه إلى أهمية تكوين مكتبة في المنزل تضم طائفة نافعة من الكتب والمجلات النافعة والمسلية في ألوان مختلفة من المعارف.

ولئن كانت القراءة المتنوعة مهمة، فإن متابعة الجديد من الأخبار والمبتكرات يعد رافدًا حيويًّا في بناء شخصية المسلمة المثقفة، فمثل هذه الأمور تشكل وعيًا أعمق، ومعرفة أكثر، وفرصة أوسع لحديث نافع وجديد، وربما مبهر، كما أنه يعد وسيلة لاكتشاف إمكانات مخبوءة لديك تستطيعين بها إسعاد الزوج، أو مَن يَهُمُّه أمرهم، وسيكون من أسباب سعادة كثير من الأزواج أن يجدوا لدى زوجاتهم المعرفة بآخر الأحداث، والقدرة على تلخيصها بشكل جيد، والوعي بمضامينها، ما ينعكس إيجابًا بمزيد من الثقة والتقدير، والشعور بالتأنق لدى الطرفين، ويمكن للزوجة أن تحقق ذلك من خلال:

أ- متابعة نشرة إخبارية يوميًا قبل رجوع الزوج من العمل، وتلخيصها سواء بالكتابة أو حفظًا.

ب- متابعة بعض البرامج الثقافية الجادة والهادفة التي تتناول أحدث القضايا بأسلوب علمي، بحسب المتاح من وقتها.

ج- الاشتراك في مجلة ثقافية علمية أدبية، شهرية أو أسبوعية، أو استعارتها من بعض الصديقات أو الجيران.

د- الاطلاع على أحدث خطوط الموضة وفنون الطهي، وأحدث المبتكرات والاختراعات، والاستفادة من الملائم منها.

٢- الاستفادة من التقنيات المعاصرة:

تعد القدرة على استخدام التقنيات الحديثة وتطبيقاتها إحدى أهم العلامات التي تميز الإنسان العصري عمومًا، والمثقف خاصة، وبالتالي فإن جهل الزوجة المسلمة العصرية بإمكانات وبعض استخدامات الحاسوب والإنترنت، ستكون دليلاً على تأخرها عن ركب عصرها، كيف لا وقد صار الأطفال دون السابعة قادرين على استخدام الكثير بعض هذه التقنيات، والتفاعل معها بسهولة ويسر؟! ولست أعني بالقدرة هنا أن تتعلمي التعامل مع هذه التقنيات- أيًّا كانت- لمجرد التعرف عليها، وإمكان استخدامها فقط، بل المراد أن تتفاعلي معها في حدود المستطاع؛ للاستفادة من إمكاناتها الهائلة وقدراتها اللامحدودة في تعلم كل جديد، واكتشاف كل مفيد ما أمكنك ذلك،

لتنفعي نفسك وأسرتك، وتكوني مهيأة دائمًا لإفادة زوجك، أو استكمال ما يبدو لك من نقص في معارفك حول بعض القضايا أو الأحداث، فتبقي بذلك على صلة دائمة بجديد عصرك ومستجداته، مما يمنحك تألقًا مستمرًا، وتجددًا دائمًا في عيون زوجك وعقله.

وقد تعددت مراكز التدريب والتطوير والتعليم، فمهما أمكنك أن تضيفي جديدًا إلى مهاراتك وخبراتك فافعلي، ومن ذلك مثلاً:

أ- الانتظام في دورة لتعلُّم تطبيقات الكمبيوتر.

ب- الالتحاق بدورة لاكتساب مهارات التعامل مع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والاستفادة منها.

ج- الإلمام بلغة أجنبية سواء عن طريق الالتحاق بمعهد خاص، أو دورة ما، أو أقراص CD، أو سوى ذلك من الوسائل المتاحة.

د- متابعة الدورات التي تعنى بتربية الأولاد، وأفضل الطرق لتعليمهم، وتنمية مهاراتهم، واكتشاف قدراتهم واستثمارها.

٣-الاستشارة إنارة:

مهما زادت قدرتنا على الاطلاع والقراءة والفهم، فإن نظرتنا للأمور ستبقى جزئية، وسيبقى إدراكنا لها منقوصًا لأسباب عديدة، بعضها موضوعي، لكن لكي تكون نظرتنا أشمل، وفجوة النقص أضيق، ينبغي أن نستخير، لأن العلم المطلق بما فيه المصلحة والخير هو لله وحده، كما أن علينا أن نستشير، لأن فوق كل ذي علم عليم، وصدقت الحكمة القائلة: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار. ولعل هذا ما يفسر لنا سر الشعور بالحاجة الدائمة إلى من يساعدنا على تكوين رؤية أعمق وأشمل لما يجري من حولنا، أو لما يصيبنا نحن أنفسنا من حيرة، أو إحباط، أو انعدام اتزان في بعض الظروف والأحوال، وهذا في الحقيقة لا يتم بكثرة سماع الأخبار، أو القراءة، وإنما من خلال ما توفره الخبرات العميقة لدى أولئك الأشخاص الذين يتميزون بأنهم أكثر خبرة، وأعمق فكرًا، وأنضج فهمًا، وهذا ما يعني ألاَّ نكف أبدًا عن استشارة الأعلم والأكثر خبرة، خاصة فيما يتعلق بأسرار النجاح، وفيما يُشكل علينا من الأمور، ويُعين على توفير بعض المعلومات حول بعض القضايا.

٤ - حضور الندوات والمحاضرات:

يمثل حضور بعض الندوات أو المحاضرات المتعلقة بقضية من القضايا أو مسألة ما، أحد عوامل إزالة الغموض الذي يكتنف هذه القضية أو المسألة، ورؤية الأبعاد المختلفة لها، والعلاقات المتشابكة بينها وبين قضية أخرى، ما يشكل لعقولنا ووعينا حماية من نظرة البعد الواحد، أو الاستسلام لسلطان الشائعات، أو الظن والهوى في التعامل مع هذه القضية أو تلك المسألة، وسيكون من المفيد في هذا الصدد التركيز على الندوات والمحاضرات التي تولي عناية خاصة للعلاقات الزوجية، وكيفية التعامل مع الزوج، فمن غير المقبول أو المعقول أن تفقه الزوجة المُسلمة الكثير من الأمور والشؤون، ولا يكون في مقدمة ذلك وفي أولويته علاقتها الدائمة بزوجها، وأسباب نجاحها، وهي مسؤوليتها الأولى، وواجبها الأول والألزم شرعًا وعُرفًا.

المصادر:

عصرنا والعيش في زمانه الصعب، د/ عبد الكريم بكار، دار القلم- دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٣١٧، بتصرف

كنوز شهر رمضان

فتاوى في الصيام

أعدها وجمعها:
محمد صالح المنجد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه طائفة من أحكام الصيام، مجموعة من كلام أهل العلم،من المتقدمين والمتأخرين، بطريقة السؤال والجواب.

س: ما هو فضل الصيام؟

ج: في ذلك آيات وأحاديث كثيرة، منها قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال أهل التفسير: هم الصائمون.

وقال -ﷺ-: »إن في الجنة باباً يقال له الريان: يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟، فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد« (وفي رواية: من دخل شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً) [صحيح الجامع الصغير، رقم ٢١٢١، وانظر صحيح الترغيب ١/ ٤١٠].

وفي الصحيحين، قال رسول الله-ﷺ-:» قال الله عز وجل، كل عمل ابن آدم له (وفي مسلم: يضاعف الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف) إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة« (وفي رواية صحيحة: يستجن به العبد من النار).

وفي حديث يحيى بن زكريا: »وأمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك« [صحيح الجامع الصغير رقم (١٧٢٠)].

قال رسول الله ﷺ: من فطّر صائماً فله مثل أجره

رواه الطبراني

س: ما حكم من صام رمضان استشفاء من مرض أو تخفيفاً للوزن؟

ج: إن اقتصرت نيته على هذا فليس له في الآخرة من نصيب، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً، ومَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾[الإسراء١٨٠-١٩].

ويجب أن تكون نية المؤمن مطابقة لحديث رسول الله-ﷺ-:»من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه« [صحيح الترغيب ٤١٥/١] وينبغي على الدعاة أن يبينوا للناس معنى كلمة (احتساباً) ويدعوا ذكر الفوائد الدنيوية للمؤلفة قلوبهم.

س: كيف يحكم بدخول شهر رمضان؟..

ج: بأحد أمرين:

- الأول: رؤية هلاله، لقوله تعالى:((فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)) فإذا أعلن ثبوته مصدر موثوق وجب العمل بذلك.

- الثاني: إكمال شعبان ثلاثين يوماً،ولا مانع من توالي شهرين أو أكثر في السنة الهجرية كل منها ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً.

س: إذا أسلم الكافر،أو بلغ الصبي،أو شفي المريض، أو أقام المسافر،أو طهرت الحائض، أثناء النهار في رمضان فماذا يجب عليهم من جهة الإمساك والقضاء؟

ج: إذا أسلم الكافر، أو بلغ الصغير، أثناء النهار لزمهما إمساك بقية اليوم وليس عليهما قضاؤه، ولا قضاء الأيام التي قبله من الشهر، لأنهما لم يكونا من أهل الوجوب عند الإمساك.

- وإذا شفي المريض، أو أقام المسافر، أو طهرت الحائض، فالأحوط الإمساك بقية اليوم (للخلاف في المسألة) وعليهم قضاء هذا اليوم، وما فاتهم قبله. والفرق بين القسمين: أن القسم الأول تحقق لديهم الشرط أما القسم الثاني فقد زال عنهم المانع.

س: متى يؤمر الصبي بالصيام؟

ج: قال الخرقي: وإذا كان الغلام عشر سنين، وأطاق الصيام أخذ به.

قال ابن قدامة: واعتباره بالعشر أولى، لأن النبي -ﷺ- أمر بالضرب على الصلاة عندها، واعتبار الصوم بالصلاة أحسن لقرب إحداهما من الأخرى، واجتماعهما في أنهما عبادتان بدنيتان من أركان الإسلام، إلا أن الصوم أشق فاعتبرت له الطاقة، لأنه قد يطيق الصلاة من لا يطيقه. [المغني مع الشرح ٩٠/٣].

فما بالك أيها الأخ المسلم بمن يمنع أولاده من الصيام رحمة بهم بزعمه!!

س: رجل بلغ من الكبر عتياً، وأصبح لا يعرف أولاده، ولا الجهات الأصلية، فماذا عليه في الصوم؟.

ج: إذا كان الواقع ما ذكر، فليس عليه صلاة ولا صيام ولا إطعام. وإذا كان يعود إليه عقله أحياناً، ويذهب أحياناً، فإذا عاد إليه صام، وإذا ذهب عنه سقط عنه الصيام.

س: ما حكم الصيام للمريض؟

ج: إذا ثبت بالطب أن الصوم يسبب هلاك المريض فلا يجوز له الصيام، أما إن ثبت أن الصوم يجلب المرض له أو يضر بالمريض بزيادة مرضه أو تأخير شفائه أو يؤلمه أو يشق عليه الصيام، فالمتسحب له أن يفطر ثم يقضي.

س: شخص مصاب بقرحة في معدته، ونهاه الطبيب عن الصيام مدة خمس سنوات. فما الحكم؟

ج: إذا كان الطبيب الذي نهاه عن الصوم ثقة مأموناً خبيراً في طبه، فيتعين السمع والطاعة لنصحه، وذلك بإفطاره في رمضان حتى يجد القدرة والاستطاعة على الصوم، لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فإذا شفي من مرضه، تعين عليه صوم أشهر رمضان التي أفطرها.

س: ما حكم العاجز عن الصيام عجزاً كلياً لمرض لا يرجى شفاؤه أو لكبر سنه؟

ج: عليه أن يطعم عن كل يوم مسكيناً، نصف صاع من قوت البلد، (مثال: قرابة١,٥ كغ من الأرز) يدفعها في أول الشهر كما فعل أنس رضي الله عنه، ويجوز أثناءه أو في آخره.

س: رجل مريض أخبره الأطباء أن شفاءه ممكن، فهل يجزئه الإطعام؟

ج: لا يجزئه الإطعام، ويجب عليه الانتظار حتى يشفى ثم يقضى.

س: رجل مريض ينتظر الشفاء ليصوم، فمات، فماذا عليه؟.

ج: ليس عليه شيء لأن الصيام حق لله تبارك وتعالى، وجب بالشرع ومات من يجب عليه قبل إمكان فعله فسقط إلى غير بدل كالحج.

س: شخص صام جزءاً من رمضان ثم عجز عن إكمال الباقي، فماذا يعمل؟

ج: إن كان عجزه لأمر طارئ يزول، انتظر حتى يزول ثم يقضى، وإن كان عجزه لأمر دائم، فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً كما تقدم.

س: ما حكم الصوم للمسافر؟

ج: إذا شق عليه الصوم في السفر فالأفضل أن يأخذ بالرخصة فيفطر. وإن لم يشق عليه صام والفطر جائز.

س: متى يفطر الصائم؟

ج: في ذلك حديثان:

- **الأول**: حديث أنس رضي الله عنه أنه أفطر على دابته قبل أن يخرج وقد تهيأ للرحيل.

- **الثاني**: حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين، قال: خرج رسول الله-ﷺ-حتى بلغ عسفان، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليراه الناس ثم أفطر. فالأحوط أن لا يفطر المسافر إلا إذا خرج من بلدته وفارق البيوت.

س: رجل قرر في إحدى الليالي من رمضان أن يسافر غداً في النهار، فهل يجوز له أن يبيت نية الإفطار؟

ج: لا يجوز له ذلك، بل ينوي الصيام، لأنه لا يدري ما يعرض له، فقد لا يستطيع السفر، فإذا سافر أفطر إن شاء كما تقدم.

س: رجل أراد مواقعة أهله في رمضان، فسافر من أجل ذلك؟

ج: فعله حرام، لأنه قصد التحايل، وهو آثم ولا يجوز له الفطر ((يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)).

س: هل يجوز الإفطار في المطار؟

ج: إن كان المطار داخل البلد أو في حدودها فإنه ينتظر حتى تقلع الطائرة وتبتعد، ثم يفطر، وإن كان المطار خارج البلد، جاز له الفطر في المطار.

س: غربت الشمس في المطار فأفطرنا بعد الصيام، فلما أقلعت الطائرة وارتفعت رأينا الشمس مرة أخرى، فما حكم الصيام؟

ج: الصيام صحيح، لأنه عليه الصلاة والسلام قال:»إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم« [متفق عليه].

س: من صام في بلد، ثم سافر إلى بلد آخر، صام أهله قبله أو بعده، فماذا يفعل؟

ج:يفطر بإفطار أهل البلد الذين ذهب إليهم، ولو زاد على ثلاثين يوماً(بالنسبة له)لقول النبي -ﷺ-: »الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون« [رواه الترمذي وهو حديث صحيح]. لكن إن لم يكمل تسعة وعشرين فعليه إكمال ذلك الشهر (بعد يوم العيد)، لأن الشهر لا ينقص عن تسعة وعشرين يوماً.

س: صامت امرأة، وقبل الغروب بلحظات خرج منها الدم، فما حكم صيامها؟

ج: إن خرج فعلاً، فقد بطل الصوم وهي مأجورة، وتقضي بدلاً منه، أما إن أحسَّت به داخل الجسم ولم يخرج، أو خرج بعد الغروب، فصيامها صحيح.

س: امرأة طهرت قبل الفجر في رمضان، ولم تغتسل إلا بعد الفجر، وكذلك رجل أصبح جنباً ولم يغتسل إلا بعد الفجر، فما حكم صيامهما؟

ج: صيام المرأة المذكورة صحيح، وكذلك صيام الجنب، لحديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه: »كان النبي -ﷺ- يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم «. وكذلك النفساء مثل الحائض في الحكم إذا طهرت قبل الفجر. ولكن يجب التعجيل بالاغتسال لإدراك صلاة الفجر.

س: هل يجوز للمرأة استعمال حبوب لمنع الحيض في رمضان؟

ج: يجوز أن تستعمل المرأة أدوية لمنع الحيض في رمضان إذا قرر أهل الخبرة الأمناء من الأطباء ومن في حكمهم أن ذلك لا يضرها. وخير لها أن تكف عن ذلك، وقد جعل الله لها رخصة في الفطر، إذا جاءها الحيض في رمضان وشرع لها قضاء الأيام التي أفطرتها ورضي لها بذلك ديناً.

س: شخص لم يدر أن رمضان قد دخل، إلا في صباح اليوم التالي، فماذا يعمل؟

ج: يمسك ذلك اليوم، ويقضي يوماً بدلاً منه، لقوله -ﷺ-:» لا صيام لمن لم يفرضه من الليل« [صحيح الجامع الصغير رقم (٧٥١٦)].

س: ما هي المفطرات؟

ج: ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: أن من المفطرات ما يكون من نوع الاستفراغ:كالجماع والاستقاءة، والحيض والاحتجام. ومنها ما يكون من نوع الامتلاء: كالأكل والشرب (وما في معناها كالحقن المغذية) ومن الخارجات نوع لا يقدر على الاحتراز منه: كالأخبثين، وإذا خدعه القيء والاحتلام في النوم، وخروج الدم من الجروح، والاستحاضة، بخلاف ما إذا استقاء عمداً أو استمنى عمداً. [الفتاوى٢٥ /٢٦٥].

والمفطرات (ما عدا الحيض والنفاس) لا تفسد الصوم إلا إذا فعلها الشخص مختاراً غير مكره، ذاكراً غير ناسٍ، عالماً غير جاهل.

رمضان شهر الانتصارات

س: ما حكم قطرة العين والأذن؟

ج: لا تفطر كما ذكر أهل العلم، وكذلك: الطيب والكحل، وأخذ الدم للتحليل، والرعاف، والحقنة الشرجية، والإبر غير المغذية، والغبار، وذوق الطبّاخ للطعام دون دخوله إلى جوفه، ومن تمضمض فدخل الماء رغماً عنه إلى جوفه، ودواء الربو الذي يؤخذ بطريق الاستنشاق، وبلع الريق. وكذلك السواك فهو جائز في جميع أجزاء النهار.

س: ما حكم التقبيل في نهار رمضان؟

ج: إذا عرف الشخص من نفسه أنه إذا قبّل لا يخرج منه شيء، جاز له التقبيل، كما ورد في الصحيحين أنه -ﷺ- كان يقبل وهو صائم، أما إذا كان يعلم من عادته أنه سينزل، أو لا يضمن نفسه، فلا يقبل، لأنه إذا أنزل عند التقبيل أو اللمس فقد فسد صيامه.

س: ما حكم بقايا الطعام في الفم، وفتات السواك، واستخدام معجون الأسنان؟

ج: إذا طلع الفجر عليه فعليه إخراج بقايا الطعام من فيه ولايجوز بلعها. وكذلك لا يجوز بلع فتات السواك، وإذا وصلت إلى حلقه رغماً عنه، فليس عليه شيء. وكذلك الدم الخارج من اللثة لا يفطره إذا بلغ جوفه دون قصد. أما بالنسبة لمعجون الأسنان فإنه لا يخلو من حالين:

أحدهما: أن يكون قوياً، ينفذ إلى المعدة ولا يتمكن الإنسان من ضبطه، فهذا محظور عليه، ولا يجوز له استعماله، وعلى الأقل فهو يكره.

أما إذا كان يمكنه أن يتحرز منه، فإنه لا حرج عليه في استعماله..

س: ما حكم الأكل والشرب أثناء الأذان؟

ج: إن سمع الأذان وعلم أنه يؤذن على الفجر، وجب عليه الإمساك، وإن كان يؤذن قبل طلوع الفجر، لم يجب عليه الإمساك حتى يتبين له الفجر، وإن كان لا يعلم حال المؤذن هل أذن قبل الفجر أو بعده، فالأولى والأحوط أن يمسك إذا سمع الأذان، ولا يضره لو شرب أو أكل شيئاً حين الأذان لأنه لم يعلم بطلوع الفجر، لكن عليه أن يحتاط بالتقويمات التي تحدد الوقت بالساعة والدقيقة.

س: ماذا يفعل من غربت الشمس وهو يقود سيارته، وليس عنده ما يفطر به؟

ج: ينوي الفطر بقلبه، ولا يفعل كبعض الجهال: يمص أصبعه أو يبلع ريقه.

س: لم يخبر أمه بطلوع الشمس شفقة عليها حتى يتسنى لها الشرب، فما الحكم؟

ج: الأحوط أن تعيد الصيام، ويستغفر هو ويتوب.

س: إذا رأى شخص صائماً يأكل ناسياً، فهل يجب عليه أن يذكره؟

ج: نعم يجب عليه ذلك لعموم قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «إذا نسيت فذكروني» ولأنه بالنسبة للمشاهد يعتبر منكراً يجب تغييره، ولأنه من باب التعاون على البر والتقوى.

س: ما حكم التهنئة بدخول شهر رمضان؟

ج: لا حرج في ذلك.

نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين على صيامه وقيامه كما يحب ويرضى، والله تعالى أعلم.

أسرار الإفطار على تمر

الدكتور حسان شمسي باشا

التمر فاكهة مباركة أوصانا بها رسول الله ﷺ أن نبدأ بها فطورنا في رمضان.

فعن سلمان بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد تمرا فالماء، فإنه طهور " رواه أبو داود والترمذي.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من الماء " رواه أبو داود والترمذي.

ولا شك أن وراء هذه السنة النبوية المطهرة إرشاد طبي وفوائد صحية، وحكما نظيمة.

فقد اختار رسول الله ﷺ هذه الأطعمة دون سواها لفوائدها الصحية الجمة، وليس فقط لتوافرها في بيئته الصحراوية.

فعندما يبدأ الصائم في تناول إفطاره تتنبه الأجهزة، ويبدأ الجهاز الهضمي في عمله، وخصوصا المعدة التي تريد التلطف بها، ومحاولة إيقاظها باللين. والصائم في تلك الحال بحاجة إلى مصدر سكري سريع، يدفع عنه الجوع، مثلما يكون في حاجة إلى الماء.

وأسرع المواد الغذائية التي يمكن امتصاصها ووصولها إلى الدم هي المواد السكرية، وخاصة تلك التي تحتوي على السكريات الأحادية أو الثنائية (الجلوكوز أو السكروز) لأن الجسم يستطيع امتصاصها بسهولة وسرعة خلال دقائق معدودة.

ولا سيما إذا كانت المعدة والأمعاء خالية كما هي عليه الحال في الصائم.

ولو بحثت عن أفضل ما يحقق هذين الهدفين معا (القضاء على الكوع والعطش) فلن تجد أفضل من السنة المظهر، حينما تحث الصائمين على أن يفتتحوا إفطارهم بمادة سكرية حلوى غنية بالماء مثل الرطب، أو منقوع التمر في الماء.

وقد أظهرت التحاليل الكيميائية والبيولوجية أن الجزء المأكول من التمر يساوي ٨٥- ٨٧٪ من وزنه. وأنه يحتوي على ٢٠ - ٢٤٪ ماء، ٧٠ - ٧٥ ٪ سكريات، ٢ - ٣ ٪ بروتين، ٨,٥ ٪ ألياف، وأثر زهيد جدا من المواد الدهنية.

كما أثبتت التحاليل أيضا أن الرطب يحتوي على ٦٥- ٧٠٪ ماء، وذلك من وزنه الصافي، ٢٤- ٥٨٪ مواد سكرية، ٢,١- ٢٪ بروتين، ٥,٢٪ ألياف، وأثر زهيد من المواد الدهنية.

وكان من أهم نتائج التجارب الكيميائية والفسيولوجية - كما يذكر الدكتور أحمد عبدالرؤوف هشام، والدكتور علي أحمد الشحات - النتائج التالية:

١.إن تناول الرطب أو التمر عند بدء الإفطار يزود الجسم بنسبة كبيرة من المواد السكرية فتزول أعراض نقص السكر ويتنشط الجسم

٢.إن خلو المعدة والأمعاء من الطعام يجعلهما قادرين على امتصاص هذه المواد السكرية البسيطة بسرعة كبيرة.

٣.إن احتواء التمر والرطب على المواد السكرية في صورة كيميائية بسيطة يجعل عملية هضمها سهلا جدا، فإن ثلثي المادة السكرية الموجودة في التمر تكون على صورة كيميائية بسيطة، وهكذا يرتفع مستوى سكر الدم في وقت وجيز.

٤.إن وجود التمر منقوعا بالماء، واحتواء الرطب على نسبة مرتفعة من الماء (٦٥ - ٧٠ ٪) يزود الجسم بنسبة لا بأس بها من الماء، فلا يحتاج لشرب كمية كبيرة من الماء عند الإفطار.

الفوائد النفسية في الصيام

اسماعيل رفندي

كلما تعمقنا في مضامين العبادات أو تفكرنا في روح العبادة تبين لنا فوائد كثيرة، وذلك في أي مجال كانت وفي أي عبادة من العبادات.

الصلاة والصيام والزكاة والحج فرضها اللّه على الإنسان لصلاحهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة.

❖ وفوائد الصيام النفسية كثيرة يعرفها كل مؤمن حسب حاله وروحانيته:-

١) تهذيب للنفس وصقل لها.

٢) تدريب إيجابي ومتوازن ومقنع للفرد والمؤمن.

٣) القدرة على ضبط الشهوات.

٤) تقوية الإرادة والعزيمة.

٥) التحكم في السلوك.

٦) الشعور بالمسؤولية ومعرفة قيمة الآخرين.

٧) تقوية الحس الداخلي وتنمية الضمير.

٨) ممارسة الصبر كخصلة حميدة ومثمرة.

٩) مجاهدة النفس في كافة الاتجاهات.

١٠) تنمية الدوافع الإيمانية والأخوية من الرحمة وحب الفقراء.

١١) الاطمئنان والراحة النفسية الكاملة.

١٢) القدرة على مواجهة الحالات النفسية المؤلمة.

قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم

تَسَحروا فَإِنَّ فِي السَّحور بَرَكَة

رواه البخاري ومسلم

من أفضل ما قيل في هذه القضية مقال كتبه العلامة المستشار عبد المقصود شلتوت – حفظه الله – ملخصه:

أن في الاعتماد على الحساب الفلكي لإثبات دخول الشهر القمري خطآن جسيمان:

أولهما: إسقاط العلة الشرعية الموجبة للصوم والإفطار وهي الرؤية البصرية.

والثاني: إحداث علة للصوم والفطر لم يشرعها الله وهو الحساب الفلكي وإضفاء الحجية عليها.

أما الأول: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » :صوموا لرؤيته وأفطروا لؤيته، فإن غُم عليكم فأقدروا له ثلاثين« ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم » :لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة، ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة.« وقال صلى الله عليه وآله وسلم » :إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوماً.«

والأحاديث في هذا كثيرة، وهي تدل على أن المعتبر في ذلك هو رؤية الهلال أو كمال العدة.

وليس المقصود من هذه الأحاديث أن يرى كل واحد الهلال بنفسه، وإنما المراد بذلك شهادة البينة العادلة، فقد صح عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: » تراءى الناس الهلال، فأخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أني رأيته، فصام وأمر الناس بالصيام.« وفي الإعتماد على الحساب الفلكي إهدار للعلة الشرعية، وإسقاط لحجية الرؤية الشرعية والحجية القضائية لحكم المحاكم الشرعية، وإعتبار لما ألغاه الشرع وهو الحساب الفلكي، وشذوذ عن إتفاق من يعتد به من أهل العلم وفقهاء المذاهب الذين حُكي عنهم الإجماع على عدم جواز العمل به.«

ويترتب عليه عند معارضته مع الرؤية الشرعية:

١- إعدام صوم أول رمضان إذا كانت المخالفة بدايته.

٢- إعدام فطر يوم العيد إذا كانت المخالفة في نهايته.

وبالتالي:إنتهاك حرمة النص القرآني:﴿ فَمَن شَهِدَ منكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه ﴾ وحرمة نص السنة الشريفة: » صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته « وإنتهاك حرمة الصوم بمنع الناس من صيام أول رمضان، وإنتهاك حرمة العيد بمنعهم من إفطار يومه، مما يؤدي إلى تعطيل أحكام اللّه، وإثارة القلاقل والإضطراب، وزيادة الفرقة والإنقسام بين المسلمين.

وأما بالنسبة للخطأ الثاني: فهو إحداث علة للصوم والفطر لم يشرعها اللّه سبحانه وهي الحساب الفلكي وإضفاء الحجية عليها، وبيان ذلك:

أن اللّه سبحانه وتعالى ربط أحكامه بعلل وأسباب شرعية فإذا وجدت العلة الشرعية وجد حكم اللّه، وإذا إنتفت إنتفى حكم اللّه، ولا يملك أحد أن يغير هذه العلل ولاً أن يبدلها. وقد ثبت بالكتاب والسنة أن علة وجوب الصوم والفطر هي المشاهدة ورؤية الهلال بصرياً.

وليست العلة مجرد وجوده علمياً، في السماء من غير رؤية حسية بالعين، قال تعالى:﴿ فَمَن شَهِدَ منكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ وقال صلى اللّه عليه وآله وسلم » صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته «، فرتب وجوب الصوم والفطر على رؤية الهلال بالعين، لا على العلم بوجود الهلال فلكياً دون رؤية بصرية، فالنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم لم يقل) صوموا لوجود الهلال أو ثبوته (حتى يعم الوجود كلاً من الوجودين الفلكي والبصري، بل قال: » صوموا لرؤيته« ، والرؤية أخص من الوجود، فقد يوجد الهلال فلكياً ولكن لا يُرى لأسباب كثيرة، فلا يجب الصوم، أضف إلى هذا أن الشق الأخير من الحديث يدل دلالة قاطعة على أن وجود الهلال ليس هو العلة، وإنما العلة هى تحقق الرؤية الحسية الملموسة، وذلك لأن قوله صلى اللّه عليه وآله وسلم » فإن غم عليكم « أو » حال بينكم وبينه سحاب « كما فى بعض الروايات، يفيد بأنه عند وجود الهلال وراء الغيم أو غيره يجب عدم الصوم، وإكمال الشهر ثلاثين يوماً، مما يقطع بأن العلة ليست هي مجرد وجود الهلال، وإنما هي أخص من ذلك، ألا وهي: تحقق الرؤية البصرية.

وبهذا ألغى الشارع الحكيم إعتبار الوجود العلمي للهلال علة للصوم أو الفطر، وأكد على أن الوجود الحسي البصري هو العلة، وليس ذلك لأن قوة درجة الحساب الفلكي في الإثبات أقل من درجة الشهادة على الرؤية، أو لعدم صحة مقدمات ونظريات علم الفلك ولكن لأن رحمة اللّه بعباده اقتضت أن يعلق أسباب عبادتهم وعللها بأمور حسية ملموسة لكل المكلفين، دفعاً للحرج والمشقة على الناس، وأن تكون علل الأحكام وأسبابها ثابتة وحسية وعامة يسهل إدراكها لجميع المكلفين دون مشقة، وألا ترتبط هذه العبادات بأمور عقلية علمية معنوية لا يدركها كل الناس، ولا كل من يريد أن يلتمسها حتى يتحقق عموم العلة مع عموم التكليف، ويسر إدراكها مع يسر أدائه.

إن اللّه سبحانه يعلم ما سيصل إليه علم الفلك من شأن عظيم فى مستقبل الأيام، لكنه سبحانه ألغى إعتباره فى إثبات علل العبادات، وذلك فيما أوحاه إلى رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم الذي صح عنه قوله » :إنا أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا،

وأشار بيده« ، أى: تسعة وعشرون أو ثلاثون يوماً، فهذا دليل واضح على رفض الأخذ بالحساب الفلكي فى إثبات الأهلة، إذا كلفنا أن نتعامل في ذلك وكأننا أميون في الحساب الفلكي، لا نكتب ولا نحسب، وليس في ذلك تنقص أو إزراء بعلم الفلك، ولكن المقصود أن لعلماء الفلك مجالاً رحباً في بعض شئون الحياة، خارج المسائل الشرعية، فإنه ليس لهم أي دور في إثبات علل وأسباب العبادات التي ربط اللّه علل أحكامها بأسباب حسية ملموسة.

وقد أجمع الفقهاء على الإلتزام بالعلة الشرعية للصوم وهي الرؤية البصرية للهلال، وأجمعوا على رفض الأخذ بالحساب الفلكي سواء في ذلك حالة الصحو أم حالة الغيم [١]إلا من شذ من المتأخرين وأحدث سبباً لم يشرعه اللّه، ولا عبرة بهذا الشذوذ مع انعقاد الإجماع الفقهي قبله[٢] والإجماع العملي أيضاً: فقد جرى العمل في كافة العصور الإسلامية الزاهرة، حيث تقدم المسلمون في علم الفلك، وأنشأوا المراصد الفلكية، ومع ذلك منعوه من الدخول في مجال العلل الشرعية للأحكام، بل لا يكاد يُعرف قاض – منذ عرف الإسلام القضاء إلى اليوم – قضى بالحساب الفلكي[٣] ولا زال القضاة يلون إستشراف الهلال بأنفسهم، أو ينتظرون الشهود العدول بالمحاكم حتى يجيئوا لهم، والمحاكم الشرعية العليا في مصر لم تأخذ قط في إثبات الرؤية بالحساب الفلكي منذ أنشئت إلى أن ألغيت، وكذلك دار الإفتاء من بعدها، حتى نبغ مفتى آخر الزمان وأحدث هذه البدعة، ونبذ العلة الشرعية أعنى الرؤية البصرية للهلال – وأحدث علة للصوم لم يشرعها اللّه وهى العلم الفلكي بوجود الهلال، وشذ عن إجماع الأمة العلمي والعملي من عهد الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم إلى وقتنا هذا، وأضفى على الحساب الفلكي الحجية اليقينية مع أنه مبني على أمور ظنية وحسابية وجبرية، وأجهزة فلكية، وكلها ظنية تحتمل الخطأ والصواب، وليس أدل على ذلك من تعارض تقاويم الفلكيين أنفسهم في حساباتهم الفلكية، والذي يبنى على الظن لا يقيم اليقين لقيام شبهة الخطأ) إنتهى الكلام بتصرف.
لكن يبقى التنبيه إلى ثلاث قضايا:

الأولى: أن (حقيقة الشهر عند الفلكيين هي المدة بين إجتماع الشمس والقمر مرتين بعد الإستسرار وقبل الإستهلال، ومقداره عندهم هو ((٢٩ يوماً، و (١٢) ساعة و(٤٤) دقيقة.

١-ولم يعرف خلاف بين الصحابة – رضي الله عنهم – في ذلك ، بل حكى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- اتفاقهم عليه، وحكاه المهدي في « البحر » ، ومذاهب الأئمة الأربعة متفقة على ذلك ، قال مالك – رحمه الله تعالى - : «إن من يصوم بالحساب لا يُقتدى به»، وقال ابن عرفه : « لا أعرفه لمالكي»، وممن حكى الإجماع على موجبه : ابن المنذر في « الإشراف » ، وسند من المالكية ، والباجي، وابن رشد القرطبي، والحافظ ابن حجر ، والسبكي، والعيني، وابن عابدين ، والشوكاني، وصديق حسن خان ، وملا علي قاري ، وقال الشيخ أحمد شاكر : « واتفقت كلمتهم أو كادت تتفق على ذلك» أ .هـ بتصرف من « فقه النوزال » (١٥٦/٢) .

٢-أنظر تفصيل ذلك في «فقه النوازل » (١٥٨/٢ – ١٦٩) .

٣-قال الإمام الحافظ الذهبى – رحمه الله – في ترجمة الإمام قاضى مدينة برقة محمد بن الحبلى أنه (أتاه الأمير ، فقال : « غداً العيد » ، قال : « حتى نرى الهلال ، ولا أفطر الناس ، وأتقلد إثمهم »، فقال : « بهذا جاء كتاب المنصور » – وكان هذا رأى العبيدية يفطرون بالحساب ، ولا يعتبرون رؤية – فلم يُر هلال ،فأصبح الأمير بالطبول والبنود وأهبة العيد ، فقال القاضى : « لا أخرج ولا أصلى » ، فأمر الأمير رجلاً خطب ، وكتب بما جرى إلى المنصور ، فطلب القاضى إليه ، فأحضر ، فقال له : « تنصل ، وأعفو عنك » فامتنع ، فأمر ، فعُلق فى الشمس إلى أن مات ، وكان يستغيث العطش ، فلم يُسق ، ثم صلبوه على خشبة ، فلعنة الله على الظالمين) أ هـ .

أما حقيقة الشهر الشرعية: فهي الرؤية له عند الغروب، أي: أول ظهور القمر بعد السواد، ومقدار الشهر الشرعي هو لا يزيد عن (٣٠ يوماً، ولا ينقص عن (٢٩) يوماً.

وعليه فأن هناك فروقاً بين الأعتبارات الشرعية والإعتبارات الفلكية في عدة أمور:

١ - أن الشهر يبتدئ عند الفلكيين قبل البدء بالإعتبار الشرعي، ونتيجة لذلك فهو ينتهي قبله.

٢- أن الشهر مقدر بوحدة زمنية ثابتة عند الفلكيين تختلف عن مدته بالإعتبار الشرعي كما هو مبين آنفاً.

٣- أن الشهر يبتدئ بإعتبار الشرع بطريق الحس، والمشاهدة بالعين الباصرة، أو بالإكمال بخروج الهلال حقيقة، أما باعتبار الفلكيين فهو: بتقدير خروجه لا بخروجه فعلاً.

٤ - عند الفلكيين: لا فرق بين أن يتم الاقتران والانفصال ليلاً أو نهاراً، فلو حصل الاقتران والانفصال قبيل الفجر فاليوم عندهم هو بعد الفجر مباشرة، ولو حصل أثناء النهار فإن الشهر يبتدئ في اللحظة التالية له، أما بإعتبار الشرع: فالمعتبر الرؤية بعد الغروب، فلو رؤي نهاراً بعد الزوال فهو لليلة المقبلة، ولا يصام ذلك النهار الذي رؤى فيه، وهذا بلا نزاع بين أهل العلم) أ هـ. من " فقه النوازل " (٢/(١٧٤.

الثانية: أنه يجب التفريق بين أمرين متباينين: أحدهما: الخلاف الفقهي السائغ بين العلماء في قضية إختلاف المطالع، وثانيهما: عدم جواز الاعتماد على الحساب الفلكي في تحديد بداية الشهر وانتهائه لأن الخلاف فيها غير سائغ لشذوذه عن الإجماع، والعلماء مع إختلافهم فى قضية اختلاف المطالع متفقون على أن سبيل تحديد بداية الشهر ونهايته هو الرؤية الشرعية لا الحساب الفلكي، ولقد رأينا من يخلط بين الأمرين، ويستدل بكلام العلماء في القضية الأولى على القضية الثانية فلزم التنبيه.

الثالثة: وهي نصيحة لمن يخالف المفتي الرسمي فى بلده إذا ثبت أنه يعتمد على الحساب الفلكي: أن لا يستعلن بالمخالفة لعموم المسلمين فى بلده[٤] بل يستتر بالمخالفة، ويعمل بالرؤية الشرعية فى خاصة نفسه، ولا يدعو بلسان الحال أو المقال الملاء إليها، سداً لذريعة التهارج بين المسلمين، ودرءاً للفتن، وجمعاً للكلمة، وتفويتاً لمقاصد العلمانيين والمنافقين من أعداء الدين الذين يعتلون الموجة لتشكيك الناس في دينهم، ومحاولة النيل من قدسية الصيام في نفوس العامة، وقانا الله وسائر المسلمين شر أعداء الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

٤-ومقتضى هذا الكف عن كل ما ينم عن هذه المخالفة كقيام الليل بالمساجد أو الإعتكاف فيها ، فضلاً عن الجهر بالإفطار ، وإقامة صلاة العيد .

خصائص عشر الأواخر من رمضان

ليلة القدر خير من ألف شهر

د. عبدالعزيز الفوزان

تأملْ أيها المسلم في ساعتك، وانظر إلى عقرب الساعة وهو يأكل الثواني أكلاً، لا يتوقف ولا ينثني، بل لا يزال يجري ويلتهم الساعات والثواني، سواء كنت قائماً أو نائماً، عاملاً أو عاطلاً، وتذكّرْ أن كل لحظة تمضي، وثانية تنقضي فإنما هي جزء من عمرك، وأنها مرصودة في سجلك ودفترك، ومكتوب في صحيفة حسناتك أو سيئاتك، فاتّق الله في نفسك، واحرص على شغل أوقاتك فيما يقربك إلى ربك، ويكون سبباً لسعادتك وحسن عاقبتك، في دنياك وآخرتك. وإذا كان قد ذهب من هذا الشهر أكثره، فقد بقي فيه أجلّه وأخيره، لقد بقي فيه العشر الأواخر التي هي زبدته وثمرته، وموضع الذؤابة منه.

ولقد كان ﷺ يعظّم هذه العشر، ويجتهد فيها اجتهاداً حتى لا يكاد يقدر عليه، يفعل ذلك - ﷺ- وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، فما أحرانا نحن المذنبين المفرّطين أن نقتدي به - ﷺ- فنعرف لهذه الأيام فضلها، ونجتهد فيها، لعل الله أن يدركنا برحمته، ويسعفنا بنفحة من نفحاته، تكون سبباً لسعادتنا في عاجل أمرنا وآجله.

روى الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله - ﷺ- يجتهد في العشر الأواخر، ما لا يجتهد في غيره».

وفي الصحيحين عنها قالت: «كان النبي - ﷺ- يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شمَّر وشدّ المئزر».

فقد دلت هذه الأحاديث على فضيلة العشر الأواخر من رمضان، وشدة حرص النبي - ﷺ- على اغتنامها والاجتهاد فيها بأنواع القربات والطاعات، فينبغي لك أيها المسلم أن تفرغ نفسك في هذه الأيام، وتخفّف من الاشتغال بالدنيا، وتجتهد فيها بأنواع العبادة من صلاة وقراءة، وذكر وصدقة، وصلة للرحم وإحسان إلى الناس. فإنها -والله- أيام معدودة، ما أسرع أن تنقضي، وتُطوى صحائفها، ويُختم على عملك فيها، وأنت -والله- لا تدري هل تدرك هذه العشر مرة أخرى، أم يحول بينك وبينها الموت، بل لا تدري هل تكمل هذه العشر، وتُوفّق لإتمام هذا الشهر، فالله الله بالاجتهاد فيها والحرص على اغتنام أيامها ولياليها، وينبغي لك أيها المسلم أن تحرص على إيقاظ أهلك، وحثهم على اغتنام هذه الليالي المباركة، ومشاركة المسلمين في تعظيمها والاجتهاد فيها بأنواع الطاعة والعبادة.

ولنا في رسول الله - ﷺ- أسوة حسنة فقد كان إذا دخل العشر شدَّ مئزره، وأحيا ليله وأيقظ أهله.

وإيقاظه لأهله ليس خاصاً في هذه العشر، بل كان يوقظهم في سائر السنة، ولكن إيقاظهم لهم في هذه العشر كان أكثر وأوكد. قال سفيان الثوري: أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، ويُنهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك.

وإن لمن الحرمان العظيم، والخسارة الفادحة، أن نجد كثيراً من المسلمين، تمر بهم هذه الليالي المباركة، وهم عنها في غفلة معرضون، فيمضون

هذه الأوقات الثمينة فيما لا ينفعهم، فيسهرون الليل كله أو معظمه في لهو ولعب، وفيما لا فائدة فيه، أو فيه فائدة محدودة يمكن تحصيلها في وقت آخر، ليست له هذه الفضيلة والمزية.

وتجد بعضهم إذا جاء وقت القيام، انطرح على فراشه، وغطّ في نوم عميق، وفوّت على نفسه خيراً كثيراً، لعله لا يدركه في عام آخر.

ومن خصائص هذه العشر: ما ذكرته عائشة من أن النبي - ﷺ - كان يحيي ليله، ويشدّ مئزره، أي يعتزل نساءه ليتفرغ للصلاة والعبادة. وكان النبي - ﷺ - يحيي هذه العشر اغتناماً لفضلها وطلباً لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما أعلم - ﷺ - قام ليلة حتى الصباح» ولا تنافي بين هذين الحديثين، لأن إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالصلاة والقراءة والذكر والسحور ونحو ذلك من أنواع العبادة، والذي نفته، هو إحياء الليل بالقيام فقط.

ومن خصائص هذه العشر أن فيها ليلة القدر، التي قال الله عنها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. وقال فيها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ[٣] فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الكاتبين كل ما هو كائن في تلك السنة من الأرزاق والآجال والخير والشر، وغير ذلك من أوامر الله المحكمة العادلة.

يقول النبي - ﷺ - "وفيه ليلة خير من ألف شهر من حُرمها فقد حُرم الخير كله، ولا يُحرم خيرها إلا محروم» حديث صحيح رواه النسائي وابن ماجه.

قال الإمام النخعي: «العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها».

وقد حسب بعض العلماء «ألف شهر» فوجدوها ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر، فمن وُفّق لقيام هذه الليلة وأحياها بأنواع العبادة، فكأنه يظل يفعل ذلك أكثر من ثمانين سنة، فياله من عطاء جزيل، وأجر وافر جليل، من حُرمه فقد حُرم الخير كله.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه» وهذه الليلة في العشر الأواخر من رمضان لقول النبي - ﷺ - "تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» متفق عليه.

وهي في الأوتار منها أحرى وأرجى، وفي الصحيحين أن النبي - ﷺ - قال: التمسوها في العشر الأواخر في الوتر» أي في ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين. وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تثبت في ليلة واحدة، بل تنتقل في هذه الليالي، فتكون مرة في ليلة سبع وعشرين ومرة في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو تسع وعشرين.

وقد أخفى الله سبحانه علمها على العباد رحمة بهم، ليجتهدوا في جميع ليالي العشر، وتكثر أعمالهم الصالحة فتزداد حسناتهم، وترتفع عند الله درجاتهم (ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون)، وأخفاها سبحانه حتى يتبين الجادّ في طلب الخير الحريص على إدراك هذا الفضل، من الكسلان المتهاون، فإن من حرص على شيء جدَّ في طلبه، وسهل عليه التعب في سبيل بلوغه والظفر به، فأروا الله من أنفسكم خيراً واجتهدوا في هذه الليالي المباركات، وتعرّضوا فيها للرحمات والنفحات، فإن المحروم من حُرم خير رمضان، وإن الشقي من فاته فيه المغفرة والرضوان، يقول النبي - ﷺ - "رغم أنف من أدرك رمضان ثم خرج ولم

يُغفر له» رواه ابن حبان والحاكم وصححه الألباني.

إن الجنة حُفّت بالمكاره، وأنها غالية نفيسة، لا تُنال بالنوم والكسل، والإخلاد إلى الأرض، واتباع هوى النفس. يقول النبي - ﷺ - "من خاف أدلج - يعني من أول الليل- ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

وقد مثل النبي - ﷺ- المسافر إلى الدار الآخرة -وكلنا كذلك - بمن يسافر إلى بلد آخر لقضاء حاجة أو تحقيق مصلحة، فإن كان جاداً في سفره، تاركاً للنوم والكسل، متحملاً لمشاق السفر، فإنه يصل إلى غايته، ويحمد عاقبة سفره وتعبه، وعند الصباح يحمد القوم السرى. وأما من كان نوّاماً كسلان متبعاً لأهواء النفس وشهواتها، فإنه تنقطع به السبل، ويفوته الركب، ويسبقه الجادّون المشمّرون، والراحة لا تُنال بالراحة، ومعالي الأمور لا تُنال إلا على جسر من التعب والمشقات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. ومن خصائص هذه العشر المباركة استحباب الاعتكاف فيها، والاعتكاف هو: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عز وجل - وهو من السنة الثابتة بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ- قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة:١٨٧] وكان النبي - ﷺ- يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، واعتكف أزواجه وأصحابه معه وبعده.

وفي صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: كان النبي - ﷺ- يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوماً.

والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس ليتفرغ لطاعة الله، ويجتهد في تحصيل الثواب والأجر وإدراك ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والعبادة، ويتجنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدث قليلا بحديث مباح مع أهله أو غيرهم. ويحرم على المعتكف الجماع ومقدماته لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة:١٨٧]

وأما خروجه من المسجد فهو على ثلاثة أقسام:

١- الخروج لأمر لا بد منه طبعاً أو شرعاً لقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب والغسل من الجنابة، وكذا الأكل والشرب فهذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد. فإن أمكن فعله في المسجد فلا. مثل أن يكون في المسجد دورات مياه يمكن أن يقضي حاجته فيها، أو يكون له من يأتيه بالأكل والشرب، فلا يخرج حينئذ لعدم الحاجة إليه.

٢- الخروج لأمر طاعة لا تجب عليه كعيادة مريض، وشهود جنازة ونحو ذلك، فلا يفعله إلا أن يشترط ذلك في ابتداء اعتكافه مثل أن يكون عنده مريض يحب أن يعوده أو يخشى من موته، فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك فلا بأس به.

٣- الخروج لأمر ينافي الاعتكاف كالخروج للبيع والشراء ونحو ذلك، فلا يفعله لا بشرط ولا بغير شرط؛ لأنه يناقض الاعتكاف وينافي المقصود منه، فإن فعل انقطع اعتكافه ولا حرج عليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) . روه البخاري ومسلم

الإعتكاف وحلاوة الخلوة

د. رياض المسيميري

الاعتكاف سنَّة مؤكدة، وهدي نبوي فاضل، التزمه رسول الله ﷺ حتى مات، كما حدثتنا بذلك عائشة رضي الله عنها، واعتكف أزواجه من بعده، وأصل ذلك في صحيح مسلم وغيره.
كما اعتكف أصحابه معه وبعده، ودرج على ذلك العلماء والعبَّاد والزهَّاد وطلاب الآخرة.
والاعتكاف المسنون هو اعتكاف الروح والجسد إلى جوار الرب الكريم المنان في خلوة مشروعة تتخلص النفس من أوضار المتاع الفاني، واللذة العاجلة، وتبحر الروح في الملكوت الطاهر؛ طالبة القرب من الحبيب مالك الملك ملتمسة لنفحاته المباركات.
الاعتكاف المسنون هو الخلوة الصادقة مع الله تفكراً في آلائه ومننه وفضائله، واعترافاً بربوبيته وإلهيته وعظمته، وإقراراً بكل حقوقه، وثناء عليه بكل جميل ومحمود.
الاعتكاف المسنون قيام وذكر وقراءة قرآن، وإحياء لساعات الليل بكل طيب وصالح من قول وعمل.
لقد أصاب الاعتكاف من بركات الصحوة وأصاب الصحوة من بركات الاعتكاف.
فأحيا الأخيار سنة الاعتكاف بعد أن عطلت ونُسيت دهراً طويلاً.
بيد أن هذا الاعتكاف كاد أن يخرج عن إطاره المشروع، وهدفه السامي لدى البعض، ومن ثم قلَّت منافعه وانحسرت فوائده، فمن ذلك:

١) الرياء والسمعة:

وكلنا يعلم أن الرياء والسمعة مبطلان للعمل، وهو ضرب من الشرك الخفي الذي حذر منه نبينا عليه السلام.
فكثيراً من يجاهر بعضنا باعتكافه بلا مناسبة، وكان حق هذا العمل الصالح الاجتهاد في إخفائه عمن لا يعلم به على الأقل.

٢) الإكثار من لغو الحديث:

فقد يجتمع في المعتكف أشخاص كثيرون، وربما بعضهم يعرف بعضاً، فيجلس بعضهم إلى بعض يتجاذبون أطراف الأحاديث والمناقشات وغيرها يقطعون بها الوقت، وفي ذلك حرمان لكل واحد منهم من الخلوة بالنفس والقرب من الرب والتفرُّغ للعبادة، وكلها مقاصد كبرى للاعتكاف.

٣) الانشغال بالهاتف الجوال:

وأعجب من الفقرة السابقة، الاتصالات الهاتفية عبر الجوال، حيث يتَّصل المعتكف بكل معارفه وأصدقائه، ويسألهم ويسألونه عن الصغير والكبير والجليل والحقير من الأمور ويتبادلون المزاح، والطُرَف والمُلَح، فأين هؤلاء من قول عائشة -كما في صحيح مسلم- أنها كانت تدخل البيت للحاجة والمريض فيه فلا تسأل عنه إلا وهي مارة إذا كانت معتكفة.
أحبتي القراء! هلموا إلى الاعتكاف بهيئته المسنونة، لا بوضعه المبدل تكونوا من الفائزين، والله الموفق.

قصيدة رمضان

شَهْرٌ تَلأْلأَ بِالْخَيْرَاتِ

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

أَقْبَلْتَ تَزْهُوْ وَنُوْرُ الْوَجْهِ وَضَّاءِ ... فَمَا ارْتَأَتْ فِيْ رُبَاكُمْ قَطُّ ظَلْمَاءُ
أَهْلاً بِشَهْرٍ حَلِيْفِ الْجُوْدِ مُذْ بَزَغَتْ ... شَمْسٌ وَصَافَحَ زَهْرَ الرَّوْضَةِ الْمَاءُ
شَهْرٌ تَلأْلأَ بِالْخَيْرَاتِ فَانْهَزَمَتْ ... أَمَامَ سَاحَتِهِ الشَّمَّاءِ ضَرَّاءُ
فِيْهِ اسْتَقَالَتْ فُلُوْلُ الشَّرِّ مِنْ خُدَعٍ ... وَكُبِّلَتْ فَسَرَتْ فِي النَّاسِ سَرَّاءُ
تِلْكَ الْمَسَاجِدُ بِالتَّسْبِيْحِ آهِلَةٌ ... كَأَنَّهَا بِالْهُدَى فَجْرٌ وَأَضْوَاءُ
وَالصَّالِحُوْنَ وَمَنْ يَقْفُوْ مَآثِرَهُمْ ... بَدَتْ عَلَى وَجْهِهِمْ بُشْرَى وَلأْلاَءُ
وَالْكُلُّ فِيْ طَرَبٍ يَشْدُو بِمَقْدَمِهِ ... كَأَنَّهُ مِنْ جَمَالِ الرُّوْحِ حَسْنَاءُ
يَا أُمَّتِي اسْتَقْبِلُوا شَهْرًا بِرُوْحٍ تُقًى ... وَتَوْبَةِ الصِّدْقِ فَالتَّأْخِيْرُ إِغْوَاءُ
تُوْبُوْا إِلَى رَبِّكُمْ فَالذَّنْبُ دَاهِيَةٌ ... ذَلَّتْ بِهِ أُمَمٌ وَاحْتَلَّهَا الدَّاءُ
أَلَمْ نَجِدْ مِنْ عُدَاةِ الدِّيْنِ كُلَّ أَذًى ... وَالْقُدْسُ مُغْتَصَبٌ فَاشْتَدَّ بَلْوَاءُ
والْحَرْبُ تَطْحَنُ أَكْبَادًا وَتَعْجِنُهَا ... وَنَحْنُ لَمْ نَرَهَا فَالْعَيْنُ عَمْيَاءُ
أَلَمْ يُحَلِّقْ بِنَا جَدْبٌ فَزَلْزَلَنَا ... وَكَمْ أَحَاطَ بِنَا ضُرٌّ وَلأْوَاءُ
وَكَمْ أَتَتْ عِبَرٌ وَالْقَوْمُ فِيْ هَزَلٍ ... إِعْصَارُ قُوْنُو كَفَى كَمْ مَاتَ أَبْنَاءُ
أَمَّا تَسُوْنَامُ فِيْهِ كُلُّ فَاجِعَةٍ ... وَكَمْ وَكَمْ عِظَةٍ والأُذْنُ صَمَّاءُ
رَبَّاهُ عَفْوًا وَتَوْفِيْقًا وَمَغْفِرَةً ... وَجُدْ بِنَصْرٍ فَإِنَّ النَّصْرَ عَلْيَاءُ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... مَا غَرَّدَتْ فَوْقَ غُصْنِ الْبَانِ وَرْقَاءُ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالأَتْبَاعِ قَاطِبَةً ... مَا لاَحَ بَرْقٌ تَلا رَعْدٌ وَأَصْدَاءُ

A different Ramadan this year

We praise Allah lord of the Realms and May Allah's Prayers, blessings and peace be upon his Prophet, the seal of His Messengers and upon all his Family and companions.

Ramadan arrives each year, awaited with enthusiasm, excitement and joy…but!!? Did you think dear brother and sister to have a different Ramadan this year? Ramadan is the month of victory in all levels …Ramadan is a chance to enhance our personalities to the better…That's why we have devised for you fellow Muslim observing fast, a daily program. A day in Ramadan is considered a great chance to get closer to Allah with the different kinds of acts of worship and varying of deeds ,thus gaining more good deeds.

The reason behind the program

The most efficient way to make use of a day in Ramadan, every hour of the day must be utilized considerably through performing a good deed or a benefit that passes to others, seeking from it the great reward and pleasing of Allah. By applying the following program you could recite the whole Qur'an two or three times by the will of Allah during the holy month of Ramadan, but if you could do more then you are better rewarded by the will of Allah. It must be noted that this program does not restrict reciting the Qur'an and remembrance of Allah (Thikr) to specific hours; nevertheless it could be done at any time and place.

The crack of Dawn

1 - Answering the Athan of Al-Fajr (dawn) prayer

O Allah, Owner of this perfect call and Owner of this prayer to be performed, bestow upon Muhammad al-waseelah (A rank in Paradise that is only befitting one person with certain qualities among all human beings) and al-fadeelah and send him upon a praised platform, which You have promised him. [Reported by Al-Bukhari]

«اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته» رواه البخاري

2-Observing the Two Rak`as sunnah associated before Fajr.

The Messenger of Allah said: The two Rak>as at dawn are better than what`s within this world and what it contains] .Reported by Muslim]

‹‹ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها››
رواه مسلم

Abu Huraira reported that the Messenger of recited in the two (supererogatory) Rak>as of the dawn (prayer" :(Say: O unbelievers] ",Al-Kaafiroon 1:106] and" Say: Allah is one] "Al-Ikhlaas] [1:112 Reported by Muslim]

‹‹ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد››
رواه مسلم

3-Performing Al-Fajr Prayer in congregation (for men (and be keen to arrive early:

The Messenger of Allah said" :The most burdensome prayers for the hypocrites are the night prayer and the morning (Dawn) prayer. If they were to know the blessings they have in store, they would have come to them, even though crawling ".[Agreed upon]

‹‹لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا››
متفق عليه

And he also said" :Glad tidings to the walkers of the darkness to the Masjid with complete light in the Day of Resurrection illuminating their path [".Reported by Al-Tirmizi and Ibn Majjah, Authenticated by Al-Albani]

‹‹بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة››
رواه الترمذى وابن ماجه وصححه الألباني

4-To be occupied with supplication and Allah`s remembrance before commencing obligatory prayer.

The Messenger of Allah said" :The supplication between the Athan and Iqamah (call to commence the prayer) is not rejected. [Reported by Ahmad, Al-Tirmzi and Abu Dawud, authenticated by Al-Albani]

‹‹الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة››
رواه أحمد والترمذى وابو داود وصححه الألباني

5-Sitting in the Masjid for Men and for Women, their prayer places doing the following:

i (Remembrance of Morning supplication: The Prophet used to sit in his place after the Dawn prayer till sunrise supplicating to Allah. [Reported by Muslim]

‹‹كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسنا››
رواه مسلم

ii (Reciting Qur'an: Allah almighty said" Indeed, the recitation of dawn is ever witnessed["Al-Isra\V:V٨] '

{ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}
الإسراء: ٧٨

Transliteration :inna qurana alfajri kana mashhoodan]

Importance of maintaining as much as you can recite quarter of a part (Juz ('to complete one whole read for the month, half a part to complete two full reads and one full part for three whole reads in the month and so on. Whoever wants to increase recitation sets he will head for more reward by the will of Allah.

iii (After sunrise by approximately fifteen minutes ,observe two Rak'as with the intention of making a pilgrimage and Umrah with their reward. The Messenger of Allah said" :Whoever observed the Dawn Prayer in congregation and sat waiting in his place, in a state of Remembrance of Allah until sunrise, following that by observing Two Rak'as. He will be rewarded with the reward of a perfect pilgrimage and a perfect Umrah[".Reported by Al-Tirmizi and Al-Albani with an authentic chain]

‹‹ من صلى الغداة في جماعة ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ؛ كانت له كأجر حجة وعمرة ، تامة تامة تامة››
رواه الترمذى وقال الألباني إسناده صحيح

After leaving the Masjid

1- Sleep and recall an intention for it .Mu'ath Ibn Jabal – May Allah be pleased with him – said" ,I recall an intention for my sleep similar to the intention I recall for standing (for voluntary night prayer".)

2- Observing Al-Duha (forenoon) prayer. Abu Dharr narrated that the Messenger of Allah said" :In the morning charity is due from every bone in the body of every one of you. Every utterance of Allah>s glorification is

an act of charity. Every utterance of praising Him is an act of charity, every utterance of profession of His Oneness is an act of charity, every utterance of profession of His Greatness is an act of charity, enjoining good is an act of charity, forbidding what is disreputable is an act of charity, and two Rak>as which one prays in the forenoon will suffice all the previous[".Reported by Muslim]

‹‹يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة. فكل تسبيحة صدقة . وكل تحميدة صدقة . وكل تهليلة صدقة . وكل تكبيرة صدقة . وأمر بالمعروف صدقة . ونهي عن المنكر صدقة . ويجزئ ، من ذلك ، ركعتان يركعهما من الضحى››
رواه مسلم

3- Going to work and school while recalling good intentions for them The Messenger of Allah said" ,Nobody has ever eaten a better meal than what had been earned by working with one>s own hands .The Prophet of Allah, David – May Allah have peace on him - used to eat from the earnings of the product of his own hands[".Reported by Al-Bukhari]

‹‹ ما أكل أحد طعاما قط ، خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده››
رواه البخاري

He said" :he who treads the path in search of knowledge, Allah would make that path easy, leading to Paradise] ".Reported by Muslim[

‹‹من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له به طريقا إلى الجنة››
رواه مسلم

4- Occupying oneself with remembrance of Allah Almighty ,He Almighty said "Unquestionably, by the remembrance of Allah hearts are assured[".Al-Ra`d 13:28]

{ أَلَا بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}
الرعد: ٢٨

Transliteration :**ala bithikri Allahi tatmainnu alquloobu**

The Prophet said" :The most beloved deeds to Allah that you die whilst your tongue in a state of remembrance of Allah[".Authenticated by Al-Albani]

‹‹قلت أي الأعمال أحب إلى الله قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله››
صححه الألباني

Noon Time

1- Answering the Mu`adhin for Duhr (Noon) Prayer. The Messenger of Allah said" :If you hear the call for prayer (Adhan ,)answer the call of Allah[". Authenticated by Al-Albani]

‹‹إذا سمعت النداء فأجب داعي الله››
صححه الألباني

Then perform Al-Duhr prayer in congregation .The Messenger of Allah also said" :O people, pray in your homes, indeed the best prayer after the obligatory Prayer (in congregation) is praying at one`s own home] ".Reported by Al-Bukhari[

‹‹صلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة››
رواه البخاري

2- Observing Al Sunnan Al Rawatib (Sunnah Prayers associated with Obligatory Prayers). It consists of Four Rak`as before Duhr prayer and two after. The Messenger of Allah said" :A house will be built in Paradise, for anyone who prays in a day and a night twelve Rak>as[".Reported by Muslim]

‹‹من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُني له بهن بيت في الجنة››
رواه مسلم

Time of Al-Asr

1- Answering the Mu`adhin for Asr (Afternoon) Prayer. The Messenger of Allah said" :If you hear the call for prayer (Adhan ,(answer the call of Allah". [Authenticated by Al-Albani]

‹‹إذا سمعت النداء فأجب داعي الله››
صححه الألباني

Then perform Al-Asr prayer in congregation. The Messenger of Allah also said" :Whoever hears the call for prayer and does not answer it his prayer will not be accepted except for whom had a sound excuse[".Authenticated by Al-Albani]

‹‹من سمع النداء فلم يجبه فلا صلاة له إلا من عذر››
صححه الألباني

2-Observing the Evening remembrance of Allah. Allah almighty said" and exalt [Allah] with praise of your Lord before the rising of the sun and before its setting["Taa-Haa 20:130]

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}
طه: ١٣٠

Transliteration :**wasabbih bihamdi rabbika qabla tulooAAi alshshamsi waqabla ghuroobiha**

3-Recite the holy Qur'an. Importance of maintaining as much as you can recite quarter of a part (Juz ('to complete one whole read for the month, half a part to complete two full reads and one full part for three whole reads in the month and so on. Whoever wants to increase recitation sets he will head for more reward by the will of Allah.

4-Listen to a lecture or sermon given in the Masjid. The Messenger of Allah said" :Whoever comes to the Masjid frequently with the intention of acquiring knowledge or passing it to others, only, he will be rewarded with the reward of a pilgrim in full] ".Authenticated by Al-Albani[

‹‹من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته››
حسن صحيح الألباني

5- Taking a short nap and recalling a good intention for it. Narrated by Abdullah Ibn Amr – May Allah be pleased with them- that the Prophet said: "Even your body has a right upon you." [Agreed upon]

‹‹وإن لبدنك عليك حقا››
متفق عليه

Before sunset

1- Do the following activities:

i) Taking care of the house and maintaining the needs of the household.

ii) Listen to lectures and sermons that softens the heart

iii) Dawa over the internet

iv) Memorizing Qur'an

v) Give out provisions and aid in the Masjid to fasting people so they would break their fast.

2- Occupy yourself with Supplicating. The Messenger of Allah said" :Duaa` (supplication) is the Worship[".Reported by the narrators of the 4 Sunan, Authenticated by Al-Albani]

‹‹الدعاء هو العبادة››
رواه الأربعة وصححه الألباني

After Maghrib (sunset)

1- Repeat the Adhan of Al Maghrib after the Mu`adhin. The Messenger of Allah said" :If you hear the call for prayer repeat it in the same manner uttered by the Mu`adhin] "Agreed upon[

‹‹إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن››
متفق عليه

2- Break your Fast by having some dates in odd number or water then invoke the supplication of breaking the Fast and recall the intention of applying the sunnah. When the Messenger of Allah broke his fast he says" :Thirst has gone, the veins are quenched and the reward is confirmed by the will of Allah[".Reported by Abu Dawud and authenticated by Al-Albani]

‹‹ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله››
رواه أبو داود وحسنه الألباني

3-Observe the Maghrib prayer in congregation for men.

4- Perform the Two Rak`as sunnah associated with Al-Maghrib Prayer.

5- Having the meal of Iftar with the family on one table.

6- Get ready for' Isha 'Prayer and Tarawih Prayer (the additional night prayer often observed after Isha 'during Ramadan). The prayer is performed in congregation. Being ready by Making Wudu) 'Ablution), wearing a scent (permissible for males only and prohibited for women out of their home) contemplating on the reward for every step walked to the Masjid, The Messenger of Allah said" ,whenever a woman wears a scent-perfume- then left her home whilst people smelling her scent she is an adulteress["Reported by Abu Dawud, Al-Tirmidhi, Al -Nasa`I and authenticated by Al-Albani]

‹‹أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية››
رواه أبو داود والترمذي والنسائي وصححه الألباني

The Messenger of Allah said" :Whenever a woman fumigates herself with perfume should not join us in the <Isha> prayer[".Reported by Muslim]

‹‹أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة››
رواه مسلم

The Messenger of Allah said" :Do not prevent female slaves of Allah from coming to his House (the Masjid) non fragranced (without wearing a scent".) [Reported by Abu Dawud and authenticated by Al-Albani]

‹‹لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهن تفلات ››
رواه وأبو داود و صححه الألباني

He Also said" : He who purified himself in his house, and then walked to one of the houses of Allah for the sake of performing a Fard (obligatory act) out of the Fara>id (obligatory acts (of Allah, both his steps (would be significant) as one of them would obliterate his sin and the second one would raise his status[".Reported by Muslim]

‹‹من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة››
رواه مسلم

Isha 'Time

1- To be occupied with supplication and Allah's remembrance before commencing obligatory prayer. The Messenger of Allah said: The supplication between the Adhan And Iqamah (call to commence the prayer) is not rejected[.Reported by Ahmad, Al-Tirmdhi and Abu Dawud ,authenticated by Al-Albani]

‹‹الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة››
رواه أحمد والترمذى وابو داود وصححه الألباني

2-Answering the Mu'adhin for' Isha('evening) Prayer .The Messenger of Allah said: If you hear the call for prayer (Adhan ,(answer the call of Allah. [Authenticated by Al-Albani]

‹‹إذا سمعت النداء فأجب داعي الله››
صححه الألباني

Then perform' Isha'prayer in congregation. The Messenger of Allah also said: Whoever hears the call for prayer and does not answer it his prayer will not be accepted except for whom had a sound excuse. [Authenticated by Al-Albani]

‹‹من سمع النداء فلم يجبه فلا صلاة له إلا من عذر››
صححه الألباني

3-Perform the Two Rak'as sunnah associated with Al'-Isha 'Prayer.

4-Performing Al Tarawih Prayer (all) in congregation .The Messenger of Allah said: Whoever observes the whole prayer with the Imam untill he leaves (the Imam), a complete night prayer will be written for him (granted as a reward). [Reported by Al-Tirmidhi and authenticated by Al-Albani[

‹‹إنه من صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة››
رواه الترمذي وصححه الألباني

5- Recite the holy Qur'an. Importance of maintaining as much as you can recite quarter of a part (Juz ('to complete one whole read for the month, half a part to complete two full reads and one full part for three whole reads in the month and so on. Whoever wants to increase recitation sets he will head for more reward by the will of Allah.

6- Doing the following activities:

i (Visiting relatives, to strengthen family ties.

ii (Interact in any Ramadanic educational program.

iii (Listen to a lecture/sermon or Heart softening preach given in the Masjid.

iv (Dawa through the internet

v (Studying and memorizing the Qur'an

Last Third of the night

1- Observe night prayer. Elongate your bowing and prostration for more reward. It could be observed in congregation the last ten days of Ramadan.

2-Perform the Witr Prayer if not observed with the Imam .The Messenger of Allah said" :Allah have granted you an additional prayer, treasure it, it's the Witr Prayer (Odd Prayer] "(Authenticated by Al-Albani[

‹‹إن الله زادكم صلاة فحافظوا عليها و هي الوتر››
صححه الألباني

3- Recite the holy Qur'an. Importance of maintaining as much as you can recite quarter of a part (Juz') to complete one whole read for the month, half a part to complete two full reads and one full part for three whole reads in the month and so on. Whoever wants to increase recitation sets he will head for more reward by the will of Allah.

4-Having Suhur (Meal taken before Fajr to support the person fasting through his day of fasting) with the intention of worship to Allah and applying the Sunnah. The Messenger of Allah said: Observe Suhur, there is blessings in Suhur] .Agreed upon[

‹‹تسحروا فإن في السحور بركة››
متفق عليه

5-Sitting for supplication and asking forgiveness until Al-Fajr (Dawn) Prayer. The Messenger of Allah said" ,When it is the last third of the night, our Lord, the Blessed, the Superior, descends every night to the heaven of the world and says, <Is there anyone who invokes Me (demand anything from Me), that I may respond to his invocation; Is there anyone who asks Me for something that I may give (it to) him; Is there anyone who asks My forgiveness that I may forgive him["'?Reported by Al-Bukhari and Muslim]

‹‹تنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول: من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له ››
رواه البخاري ومسلم

In the End…

We ask Allah to make us amongst whom have fasted and stood in prayer perfectly with pure faith and intention in Ramadan. And be Amongst who are spared from the torment of hellfire.

May Allah give success to everyone to grasp the best from Ramadan; He is the All-Hearing the Answerer.

May Allah's Prayers, blessings and peace be upon his Prophet, the seal of His Messengers and upon all his Family and companions. We seal our Supplication with praising Allah lord of the Realms.

Translated by Wathakker.net website

Arabic Text for the Flyer:

http://www.wathakker.net/matwyat/view.php?id=١٠١٥

www.wathakker.net

مَنْ يَأْخُذِ الْقَلَمَ بِحَقِّهِ؟!

أن تكونَ قلةُ الكتابةِ - كما ذكرَ أحدُ الباحثين - مشكلةٌ وحلُّها في اقتحامها، فإنّ كثرةَ الكتابةِ بلا همٍّ فائق أو معنىً رائق؛ باقعةٌ، وحلُّها في تركِها لأهلِها، أو اقتحامُها بحقِّها ومُستَحَقِّها..

إنّنا ونحنُ نعيشُ في عصرِ طفرةٍ لوسائلِ النشرِ السريعةِ والمُتاحة، الورقيِّ والإلكترونيِّ منها، قد دخلَ في هذا المجال - أعني مجال الكتابة - من ليسَ أهلاً، وخاضَ غِمارهُ من لا يملِكُ فيهِ خُفاً ولا نعلاً.. فظهرت كتاباتٌ سطحيةٌ هزيلة، وانتشرت مقالاتٌ همَجيةٌ عليلة، ناهيكَ عمّن خانَ أمانةَ القلَم، واقتحمَ أسوارَ النمْنَمةِ والكتابةِ والتبييض دونَ حظٍ من دِيانة، أو نصيبٍ من أخلاقٍ وإيمان..

ومن وَزّعَ النظرَ فيما يكتبهُ هؤلاء أدركَ أنّ القومَ لا يعرفونَ منَ الكتابةِ إلاّ اسمها، ولا يعرفونَ عن أمانةِ القلَم إلاّ وسمَها.. وإلاّ؛ كيفَ يُسمّى كاتباً من أدامَ السرِقة الأدبية وأدمنَ الاختلاسَ الفكريّ - غيرَ مَرةٍ - دونَما إشارةٍ أو إسنادٍ..؟!

وعليهِ، كانَ ضرورياً ومُلِحاً وواجباً أن يتنادى الغيُورينَ في الأمةِ على مُستقبَلِ الكلِمةِ ونصاعتِها ورِسالتها، بصوتٍ مُرهَفٍ مسموع، ولَفظٍ بليغٍ مسجوع: من يأخُذِ القلَمَ بحقِّه؟

ألاَ وإنّ حقّ القلَم مُرتبِطٌ بحقِّ خالقِ القلَم سبحانهُ وتعالى، وإنَّ من حقِّهِ: تعليمُ الجاهلِ، وتذكيرُ الغافلِ، ودَحضُ الباطلِ وتشتيتِه، ونَسْفُ الضلالِ وتفتيتِه.. بأمانةٍ وعلمٍ وحُجّةٍ ورويّة..

فَحريٌّ بمَن يحملُ رسالةً شرعيةً سامية، ويحْتوشُ لغةً أدبيةً نامية، أن يُشارِكَ في الأخذِ بحقِّ القلَم، وأن يُساهِم في انتشالِهِ من أيدي المُتلاعبينَ بهِ والمُسيئينَ له..

كما ينبغي لحاملي الأقلام الرزينة أن يخوضوا ميدانَ الكتابةِ والتعليم، والتوجيه والمُنافحةِ والذودِ عن دينِ الله وحمايةِ حِياضِ العقيدةِ ورياضِها، والصبرِ على الأذى في ذلك..

طعّانٌ بأطرافِ القوافي كأنَّهُ.. طعّانٌ بأطرافِ القنا المُتكسِّر .

لأننا - كما أسلفتُ - نعيشُ واقعاً كثُرَت فيهِ الأقلام، وتعدّدَ فيهِ الكُتّاب، واختلطَ الغثُّ بالسمين، وامتزجَ الحابلُ بالنابل، تحتَ عناوينَ جذّابة، ومواضيعَ خلاّبة، زيادةً في التدليس، وإمعاناً في المُبالغةِ والتلبيس، سهّلَ ذلكَ ويسّره وجودُ وسائلَ نشرٍ تهتمُّ بالكاتبِ دونَ المكتوب، وتحتفي بالناشرِ غيرَ مُباليةٍ بالمسطورِ والمنشور.. والله المستعان.

ومهما يكُن، فإنّ ثمةَ أقلامٌ عفيفة، وكتاباتٌ شريفة، ومقالاتٌ لطيفة.. أخذَت بحقِّ القلم، وقامت بأداءِ واجبهِ الأدبيِّ والشرعي، مُراعيةً حقّ اللهِ وحقّ المسئوليةِ المُناطةِ بها.. فكانَ لها - عاجلاً - شرفُ الرِّفعةِ والمنزلةِ والمكانةِ والإمامةِ في الدين، وإنّا لنرجوا الله لهم - في الآخرةِ - القبولَ والعفوَ والمُعافاة.

وقديماً قيل: « أمرُ الدينِ والدنيا تحتَ شيئين: قلمٌ وسيْف »

عبدُ الرّحمنِ بنِ مُحمَّدٍ السيِّد - تبُوك

انتهى ولله الحمد والمنة

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصـــــالحات

عدد خاص
ثبات الأحكام الشرعية وضوابط تغيُّر الفتوى
ونحن أيضاً، سنصدعُ بالحقِّ
مجلة أنا المسلم
٢٤
مجلة إسلامية دورية جامعة
www.muslm.net.vb
تصدر عن شبكة أنا المسلم
العدد ٢٤ - رمضان ١٤٣١هـ
الإصلاح
بين الحقيقة والانتحال
خبراء في الفكر والفلسفة
ولكن !
عدد خاص
خصائص عشر الأواخر من رمضان
كنوز شهر رمضان
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان
أهلا يا شهر
رؤية الهلال بين الرؤية الشرعية والفلكية
أسرار الإفطار على تمر
الاعتكاف وحلاوة الخلوة